عباس محمود العقاد

هدية الكروان

شعر

العقاد عاشق الكروان

دراسة

أحمد حسين الطماوي

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: هدية الكروان - شعر

تأليف: عباس محمود العقاد

دراسة: أحمد حسين الطماوي

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٢٤٧١

الطبعة الأولى



القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

الكروان

مطرب العقاد

أحمد حسين الطماوى

نشأ الكروان فى مهد الطبيعة، وتربى فى الليالى الداجية يخفره الظلام، واتخذ من السماء ميداناً فسيحاً يجول فيه لسيبّح ويرتل وسكن أعالى الأشجار، وألِف صحبة الكواكب النيرة، وهى أقطاب الوجود، ولعله عرف فى مداراته ومعارجه مستسرات الكون، واستجلى الغامض المستور.

ونفر من الناس، ولم يلتمس العون منهم، كما التمسته طيور أخرى، وهجر المروج الملونة المندّاه، وانغمر فى العتمة، المنوّرة بالنجوم اللامعة، والبروق المشعة، وانتشى بمجالى الليل الفاتنة، وظل على هذا لا يدركه ملال.

وهو طائر لطيف الطبع، رقيق القلب، لا يهجم ولا يأثم مثل بعض الطيور، ولا ينتفض وينتفخ، ويكابر ويفاخر مثل الديك الرومى، وإنما فيه سلاسة وانكسار، وقد ترك النهار والعراك للصقور والنسور فوصفوه بالجبن، وآثر العزلة والاستكانة فنعتوه بالبؤس.

والكروان موسيقار الليل وحادى النجوم، يجاهر الساهر بعميق هتافاته، ويلاهيه بإيقاع مقاماته، ويناجى المسافر فى هدأة السحّر ويطيل معه لهاجه، فتهون متاعب المسافات، ويؤنس المؤرق القلِق الذى سخر منه النوم، فينال مسحة من الراحة بعد أن تسرى فى مساربه، وتنساب فى أحاسيسه الحانة.

ونظراً لانطوائه وانزوائه عن الناس، وطلوعه فى هزيع الليل المتأخر، وقت نوم الأقوام، لم ترقبه الأبصار، ولم تسمعه الآذان، فغمره النسيان ومضت عنه سرمدية الذكر والصيت، وسلاه الشعراء أو كادوا، وأوردوا فى أشعارهم القطاة، والقمرى، وغراب البين، والحمام النائح، والنسر الجارح، والبلبل الهادل، وغيرها من الطيور التى تواصلوا معها واحتلت مكاناً فى دواوينهم وأغانيهم.

حتى قُصاص الخرافات الذين حكوا عن الحيوان السائر، والحيوان الطائر مثل الجرذان والغراب وغيرهما، انصرفوا عن الكروان، فلم يأخذ دور البطولة فى حكاية، ولا دوراً أقل، وإنما ظل متوارياً فى الظل، وقد يكون معهم الحق، لأن هناك ألفة بين بعض الحيوانات والإنسان، أما الكروان فلا أليف له من غير جنسه.

وكنت أظن أن أشعار المتصوفة لا تخلو من ذكر الكروان، لأنهم أكثر حضوراً فى الليل من الطوائف الأخرى، وكانوا يستعينون بقهوة البن على السهر لإقامة الأذكار وتلاوة الأوراد، وترديد الكلام المبرور، إلى جانب الرقص والغناء، ولابد أنهم وهم فى الخانقاوات سمعوا هتاف الكروان وألفوا سماعه، ومع ذلك لم ينظم واحد من شعرائهم قصيدة فيه، وبخاصة أنه يجمعهم بالكروان فضاء واحد، يتوشج فيه إيقاع الذكر، ونغم الطائر، وربما كان مثلهم يتبتل ويتعبد فى الليل البهيم.

أضيف إلى هؤلاء وهؤلاء طائفة الشعراء العشاق الذين اضطرمت النار فى مهجهم، وأسهدهم الضنى والأسى، وعانوا من الوجد والبعد، وهدهدهم الظن والشك لوقوع الجفاء والهجر، وصارت أكبادهم حرّى لا يسرّى عنهم نبأ سار، أو زيارة خاطفة، ويلْحُون البين، وفى نفوسهم حسرات، كذلك هناك عشاق يلتقون فى الظلمات، ويتبادلون المسرات، وهؤلاء وهؤلاء هم سهارّة الليل، الذين لم يداعب النوم جفونهم، وأصغوا إلى الكروان وهو يمارس طقوس غنائه، ولم يقصِّدوا القصائد فيه.

وراجعت كتاب "المغنى المصرى" الذى أعده محمود حمدى البولاقى ونشره سنة ١٩٠٣، وأعاد طبعه الأستاذ أسامة عفيفى مع مقدمة من تأليفه فى سلسلة "ذاكرة الوطن" التى كان يشرف عليها، ويضم الأغانى التى كان يغنيها المغنون فى القرن التاسع عشر، فلم أجد شيئاً وكان اختيارى لكتاب الأغانى هذا على أساس أن أهل المغنى يغنون غالباً فى الليل، وهم من سهارة الليل ولا يملون من قول "يا ليل يا عين" وقطعاً أحسوا بالكروان ولكنهم لم يلحنوا ألحانه، أو ينشدوا إنشاده. ونظرت فى عشرات الدواوين فى عصور مختلفة لمشهورين ومغمورين ولم أعثر على شئ، وكأن خصومة وقعت بين الشعراء والكراوين.

فكل هذه الطوائف كان ينتظر منها أن تنشد للكروان، لأنهم جميعاً سهارى، ينشدون النعاس الناعم فيتأبى عليهم.

<u>الكروان:</u>

وكرا أو كرى ذكر الكروان، والأنثى كروانة، والجمع كراوين وكِرْوان بكسر الكاف وتسكين الراء. وعند صيده يقال له على سبيل الخداع..

أطرق كرا .. أطرق كرا   إن النعامة فى القرى

وفى المعجمات العربية يتكرر هذا القول، ويقال أيضاً، إذا رآه قوم من بعيد "أطافوا، ويقول بعضهم أطِرق كرى، فإنك لا ترى، ما أرى هاهنا كرى، حتى يكون قريباً منه فيضربه بعصا، أو يلقى عليه ثوباً فيأخذه" لذلك يسمى الذكر طِرّيقاً بكسر الطاء وتشديد الراء وكسرها، وهى مجرد مزاعم، فهل يعرف الكروان الاسم الذى أطلقه الناس عليه، وهل هذه الكلمات إذا قيلت يسقط بالقرب منا، فنصطاده؟، لو صح هذا فإن الحياة تكون قد خلت من الكراوين، ولكن الكلمات السالفة تظهر أنه رعديد.

ويقول ابن فارس: سمى "كروان" لدقة ساقيه[1] وفى معجم "المنجد" هو "طائر من رتبة طوال الساق وفصيلة دجاجيات الأرض، أغبر اللون، طويل المنقار، قيل إنه لا ينام الليل وكأنه سمى بضده من الكرى أى النعاس".

والكروان الأغبر الذى حدثنا عنه "المنجد" هو الكروان الأوروبى فى الغالب، أما الكروان الذى يظهر فى مصر فيحدثنا عنه عالم الطيور محمد شرف، ويذكر أنه دقيق المنقار، وأصغر حجماً من

(١) مقاييس اللغة: لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

الأوروبى، ويغلب فيه البياض، يوجد فى مصر، وذكر الأستاذ شرف أن النوع الأوروبى الأغبر الأكبر يكثر فى مصر السفلى، كذلك يوجد فى السواحل الشمالية كروان أصغر لا يرى شتاءً. (١)

وفى بحوثه عن طيور مصر يقول العالم محمد محمد عنانى عن الكروان الجبلى: "يقيم طول السنة فى الصحراء الكبرى.. من مراكش إلى سينا.. وفى مصر وشمال بلاد العرب، ويتوالد صيفاً فى مصر، ويمتاز بالركبة الغليظة ويميل إلى الأماكن الفسيحة الصحراوية الخلوية، وتارة يرى على الشواطئ بجوار النيل.. طرف المنقار..." كذلك يذكر الكروان الجبلى السنغالى ويوجد فى مصر عدا الواحات والفيوم وغرب الإسكندرية. (٢)

أما عن سبب تسميته بالكروان، فيقول محمد محمد عنانى فى كتابه سالف الذكر: "إذا اقترب واحد من العش (أى عش الكروان) راقبه وصرخ بصوت مرتفع هكذا Cour-lieu، ومن ذلك أخذ اسمه" وقد يكون صياح الكروان ونطقه كيرلى هو سبب تسمية الفرنجة له بهذا

---

(١) مجلة أبولو - فبراير ١٩٣٤، مقال: الطيور الصداحة والشعراء، لمحمد شرف.

(٢) كتاب طيور مصر لمحمد محمد عنانى - ٢٠٠٤، الهيئة العامة للكتاب.

الاسم، أما عند العرب فهو كروان، ومع أن كلمة كيرلى قريبة الشبه بكلمة كروان، فإن الكروان لفظ عربى قديم، ومذكور فى الشعر الجاهلى، يقول طرفة بن العبد:

لنا يومُ وللكِرْوَانِ يوم

تطير البائسات ولا نطيرُ

فأما يومُهُن فيومُ نحسٍ

تطاردهن بالحُدَبِ الصقورُ

وأما يومنا فنظلُ ركْباً

وقوفاً ما نَحلُّ وما نِسيرُ

ويبدو الكروان هنا فى حالة بؤس، يفر ولا يصمد أمام الصقر، وورد لفظ الكروان كذلك فى ديوان ذى الرمة وهو قريب عهد بالجاهلية، كذلك جاء الكروان فى كل المعجمات العربية، وكتب الأمثال.

ريادة العقاد وشيوع ذكر الكروان:

وفى الخامس من شهر أكتوبر سنة ١٩١٣ نشر الأستاذ العقاد قصيدة "الكروان" فى جريدة عكاظ، وتقع فى أكثر من عشرين بيتاً، وهذا التاريخ مهم فى الشعر المتعلق بالكروان، إذ لا توجد قصيدة

واحدة كاملة تتخذ من الكروان موضوعاً لها قبل هـذا التـاريخ، ولكـن توجد أبيات متفرقة فى دواوين قليلة، ظهرت فى أزمـان متباعـدة، وقـد ضـمن الأسـتاذ قـصيدته فى ديوانـه الأول الموسـوم "يقظـة الـصباح" الصادر عام ١٩١٦.

والأستاذ هنا رائد، ابتدر وشعر، وهو لم يتفاعل مـع العـصر، فلـم تكن هناك كروانيات شعرية أو نثرية قبله أو فى زمنه، وإنـما تفاعـل مـع البيئة، فالكروان موجود فى مصر، ولا وجود له فى دواوين الشعر، وهذا يـبرز تفـرده وريادتـه فى موضـوع شـاع ذكـره بعـده، فقـد قـال وتبعـه الآخرون، والناس بين تابع ومتبوع، فـالأخير يـشق طريقـاً فى الفيـافى الصخرية، والتابع يسير عليها، وليست الريادة هى المبـادرة أو الابتـدار والسبق فحسب، وإنما إبراز التفوق فى المعالجة، والقدرة عـلى التـأثير فى القارئ والشاعر، وإثارة الإعجاب بما صاغ من قول سـائغ، واسـتدراج الأدبـاء إلى ميـدان يتبـارون فيـه، فقـد برهنـت الأيـام عـلى وجـود جمهـور يتقبـل الأدب فى هـذا الموضـوع مما عـبر عـن حـسن الـذوق، وحيوية المشاعر.

وانقاد لريادته الناثر والشاعر جميعاً، وأطل الكروان من القصص والروايات، والقصائد، والعقاد فى هذا كأنه وصل إلى خط الفوز فى سباق، ووقف يستقبل اللاحقين، أو كأنه حدا للكروان، ثم جاء من يحدو ورائه، ويردد صياحه.

فبعد كروان سنة ١٩١٣ أصدر الشاعر أحمد زكى أبو شادى ديوانه "زينب" سنة ١٩٢٥، ومن بين قصائده قصيدة "الكروان الرسول"، وزينب أو من دعاها زينب هى صاحبته، وجعل قصيدته أغنية لها تنبهها وتوقظ مشاعرها.

والريادة ليست أن ينظم الأستاذ العقاد قصيدة ويسترخى فى ظلها، ويكتفى بها، وإنما هى التمسك بالنظم فى موضوعه، والمجاهدة والمواظبة، فالأستاذ قادر على الاستلهام من كروانه، ومن ثم أخذ يشفع القصيدة بالقصيدة حتى تكونت عنده مجموعة وافرة من الكروانيات، فحشدها وأصدرها فى ديوان سماه "هدية الكروان" ظهر عام ١٩٣٣ وعليه صورة الكروان.

و "هدية الكروان" ديوان خاص أو نوعى، وهذا اللون من الدواوين زاخر بقصائد ثرة لها غرض واحد، وإن تعددت الأبعاد

وتنوعت، ولا يعزب عنا أن هذا التنوع متداخل متواشج لأنه جامع لموضوع واحد، ومن خصائص هذه الدواوين أنها تصور الأحوال الوجدانية الملحّة على الشاعر، والتى تلون الديوان بلون الحالة النفسية الغالبة عليه، ويكشف فيها عن دفائنه، دون أن يستهدف إمتاع القارئ أو يراعى مشاربه، لأن كل همه أن يخفف وطأة الحالة التى يمر بها، ومن الدواوين الحديثة الخاصة: "وطنيتى" لعلى الغاياتى، و "أنات حائرة" لعزيز أباظة فى رثاء زوجته، و "من وحى المرأة" لعبد الرحمن صدقى فى رثاء زوجته، ومنها "هدية الكروان" الذى غلبت عليه كروانيات العقاد، واشتمل على قصائد أخرى.

بعد "هدية الكروان" نشر الأستاذ العقاد قصيدة "عودة الكروان" سنة ١٩٣٤.[1]

وفى سنة ١٩٣٥ صدر ديوان "فوق العباب" لأبى شادى ويتضمن قصيدة "رجوع الكروان" ولاحظ تشابه العنوانين، وكأن الكروان لا يلهم أبا شادى إلا إذا سبقه العقاد.

---

(١) نشرت فى جريدة الجهاد بتاريخ ١/ ٥/ ١٩٣٤.

ولم يمض طويل وقت بعد هذه التواريخ حتى شاع اسم الكـروان فى الشعر والنثر والغناء والسينما، فنظم مصطفى عبد اللطيف السحرتى قصيدة "لحن الكروان" وضمنها ديوانه "أزهار الذكرى".

ثم كتـب د. طـه حـسين روايتـه "دعـاء الكـروان" عـام ١٩٤١، وأهداها للأستاذ العقـاد قـائلاً: "إلى صـديقى الأسـتاذ الكبـير عبـاس محمود العقاد.. سيدى الأستاذ.. أنت أقمـت للكـروان ديوانـاً فخـماً فى الشعر العربى الحديث، فهل تأذن لى فى أن اتخذ له عشاً متواضعاً فى النثر العربى الحديث، وأن أهدى إليك هذه القصة تحية خالـصة مـن صـديق مخلص.. طه حسين" وعلى أثر تأليف القصة نظم خليل مطـران قـصيدة فى الكروان قرظ بها القصة.[1]

ومن القصص التى حملت اسم الكروان قـصة "عـودة الكـروان" لإبراهيم حسين العقاد[2]، وقـصة "كـروان الأفـراح" لفـؤاد فهمـى[3]، ولطاهر الطنـاحى مجموعـة قصـصية دعاهـا "نـشيد الكـروان" وغنـى

(١) قصيدة خليل مطران منشورة مع "دعاء الكروان" ط. دار المعارف.

(٢) عودة الكروان – مجلة الجامعة ٢٦/ ٥/ ١٩٣٨.

(٣) كروان الأفراح – المصور ١٠/ ٨/ ١٩٥١.

الموسيقار محمد عبد الوهاب أغنية "كروان حيران"، وأخرجت السينما المصرية فيلم "الكروان له شفايف" [1]، وفيلم "كروانة" [2].

ومن يتتبع الآداب والفنون يعثر على أشياء أكثر، وهكذا شاع اسم الكروان وضرب بسهم فى كل فن وميدان.

كروان أبى شادى:

وليس كل ما نظم وكتب عن الكروان جاء فى صميمه، ومن أجله، وإنما استغل بعض الأدباء اسمه لقول أشياء ليس للكروان صلة بها، ومن هذا ما قاله أبو شادى فى قصيدته "رجوع الكروان":

أتعود بعد الشيب يا كروانى؟ ... أترى الكهولة كالشباب الثانى؟
هيهات لم تبق السنون لعاشق ... مثلى سوى الأصداء من ألحانى
كنت الرسول إلى جميل حنانها ... فمضيت ثم مضت بكل حنان [3]
وتسمعت أذنى إليك فلم تفز ... ابدأ بغير صدى بعيد عان
والآن بعد كهولتى فى عزلتى ... تأتى برجع نشيدها الفرحان

(١) الكروان له شفايف فيلم من إخراج حسن الإمام سنة ١٩٧٦ بطولة سهير رمزى وسمير صبرى.

(٢) كروانة فيلم من إخراج عبد اللطيف زكى سنة ١٩٩٣ بطولة نور الشريف وبوسى.

(٣) كنت الرسول، إشارة إلى قصيدة الكروان الرسول فى ديوان زينب ١٩٢٥.

وتلح إلحاح المبشر بالهـــوى فالحب فوق منازل الأديــــان

أهلاً بمنقذى الحبيب وهلى درى؟ أنى على الإنقاذ جدّ معــــان

لم يبق للقلب المذاب بقيـــة تحيا وقد ألقيت فى النيـــران

إلا حياة الذكريات وكـــلّها أشجان ذى حَرَفٍ على أشجان

قد جئت من بعد الأوان وإن أبى زهدى وعقّ تجملى تحنـــانى

عدد أبيات القصيدة خمسة عشر، أوردنا منها عشرة أبيات على التوالى حسب ترتيبها، وقرأت القصيدة كلها عدة مرات لأبحث عن الكروان فيها وللأسف لم أجد سوى اسمه، والقصيدة غزلية الطابع من شعر النسيب الشجى، ولا تبين لماذا اختار الشاعر الكروان ليكون رسولاً بينه وبين صاحبته، ولو كان اختار بلبلاً أو هدهداً أو غراباً لما تغير شئ.

فالكروان فى القصيدة مجرد اسم، وزينب صاحبته هى الكروان، والكروان هو زينب، وقد كان الشعراء العشاق يرسلون نسائم الصَّبا والريح إلى أحبابهم ويحملونها بالتحايا والسلامات والتساؤلات، دون حاجة إلى طائر، وكل هذا من باب المجاز، ثم إن كروانه خامل كسول مفسوخ الهمة مسخ، فقد كان رسوله إليها عام ١٩٢٥ (ديوان زينب)

فرجع إليه عام ١٩٣٥ (قصيدة رجوع الكروان – ديوان فوق العباب) أي استغرقت رحلة الذهاب والإياب عشرة أعوام، وربما كان كروانه يجوس فى أرض موحلة، ويسير على رسْلِهِ لأنه قصير الجناح، أو ربما كانت الرسائل ثقيلة جداً ناء الكروان بحملها، أو ربما كانت صاحبته تسكن خلف الآفاق، أو وراء جزائر واق الواق، ومر عقد من الزمان فى هذه الرحلة كان الحب فيها أدركته البرودة واكتنفته الكهولة.

والمهم أن أبا شادى لم يذكر شيئاً من صفات الكروان سوى أنه سمع أصداءه، وهذه ليست ميزة فى الكروان وحده، فكل الطيور لها أصوات وأصداء، فكيف يعد شعره من الكروانيات، إن القصيدة الكروانية هى التى يأتى فيها الشاعر على صفات الطائر وطبيعته وأجوائه وأوصافه، وما دام الشعر خلا مما ذكرنا أى لم يقدم للطائر صورة، فلا قيمة له فى هذا المجال.

مطرب العقاد :

وإذا كانت قصيدة "رجوع الكروان" لأبى شادى تعبر عن نفس أسيانة معذبة ذابلة، ولا صلة لها بالكروان، فإن للأستاذ العقاد قصيدة "عودة الكروان" [1] التى ربط فيها بين الكروان والربيع النشوان،

---

(١) عباس محمود العقاد: ديوان عابر سبيل.

وجيشان الليل بالغناء، وبهجة الحياة ولذاتها الهائنة، وكل هذا متصل بالكروان، يهتف الأستاذ للحياة المتجددة وللكروان قائلاً:

مرحبا أيها البشير ومرحـــى   بعد طول السكون لـيلاً وصـبحا
جاءنا رائد الكراوين فى جنـ   ـح من الغيب يفتح العام فتحـــا

ثـم يتحـدث الـشاعر عـن الليـل الخـافق، ولا يتوقـف عـن الترحيب بالبشير:

مرحبا بالبشير بل ألف مرحـــى   قد سمعناك تملأ السمع صدحـــا
واملأ الليل بالنداء على الحـــ   ـب مُصرّاً عـلى النـداء ملحـــا
أنت لاشك موقظ منه وســـنا   نا، معيد له إذا مـا تنحــــــى
قد سمعناك بالقلوب وصدقنا   ك فاسبح بحمد دنياك سبــــحا

ويقول :

مرحبا بالذى إذا ارتجل الســـا   عة أوحى فى الدهر ما ليس يوحى
أنت ذكرى وأنت بشرى فهيها   ت لقلبك عن أى نهجيك مَنـحَى
لك لمح كالبرق فى عالم الصـــو   ت يشق الظلام جنحا فجنــــحا
ويرينا الحياة وهلة حلـــــم   تنجلى عالما، وتعبر لمحـــــا

الخطاب هنا مختلـف، فـأبو شـادى يـسمى قـصيدته "الكـروان"

ويوجه الخطاب إلى صاحبته، والأستاذ يسمى قصيدته "الكروان" ويخاطبه، ويحتفى به، ويهلل لقدومه بعد انقضاء فصل الشتاء 'الذى يحجبه فهو إذا قرَّه الجو البارد يختفى فى الغالب، والكروان عند الأستاذ ليس مجرد طائر متميز فحسب، وإنما هو يفتح العام الجديد الذى يبدأ بفصل الربيع.

ويربط الأستاذ العقاد بين الربيع والكروان، وهذا الربط جاء نتيجة تبصر وتفكر، وملاحظة الصلة الوثيقة بين عناصر الوجود، ومن المشاهد الظاهرة تجدد الحياة بالدفء بعد البرد، وتزيين الربيع لصدر الأرض، وانبعاث غناء الكروان من جوف الليل وهى من أخصب الأوقات التى يمر بها شاعرنا، ففيها بهجة نفسه، ومنها يستلهم شعره، يقول:

هتفات الكِرْوان بالليل تترى
ومعانى الربيع نوراً وعطرا
وجمال الحياة حباً وحسنا
وشباباً يفيض عطفاً وبشرا[1]

(١) العقاد: ديوان هدية الكروان.

والكروان مطرب العقاد كما سنبين حالاً، ولا يستكفى بإطرابه لـه فى قصيدة "عودة الكروان" السالفة، وإنما يطالبه بأن يمـلأ الليـل نـداء، والإسماع غناء، ويوقظ النيام، وإذا لم يهبوا من رقادهم للإصـغاء، عليـه أن ينصب لهم فى الفضاء، ويرسل عليهم فواصله الموسيقية عدة مرات، والكـروان لا يجـدد الحيـاة بالغنـاء فحسب، وإنـما "المعيـد للزمـان جيلاً فجيلا".

وكروان قصيدة "عودة الكروان" يسبح فى الكون بحرية، وله لمـح كالبرق فى عالم الصوت، أى أن صوته نافذ له سرعة البرق، ومميز، فضلاً عن أن الطائر يبشر بالربيع، ويذكّر بالماضى.

وقد عنى العقاد الشاعر فى شـعر الكـروان بتحديـد معالمـه، وهـو عنده ليس اسم حبيبة يراسلها ويبث هواه على لسانه، وإنـما هـو حبيـب يساهره ويسائله، ويذكر طبيعته وخصائصه، يقول:

هل يسمعون سـوى صـدى الكـروان

صـوتاً يرفـرف فى الهزيـع الثـانى [1]

مـن كـل سـار فى الظـلام كأنـه

(١) الهزيع: ربع الليل أو ثلثه الأخير.

بعـــض الظـــلام تـــضله العينـــان

يـــدعو إذا مـــا الليـــل أطبـــق فوقـــه

مـــوج الـــدياجر دعـــوة الغرقـــان

يـــا محيـــى الليـــل البهـــيم تهجـــدا

والطـــــير آويـــــة إلى الأوكـــــان [1]

فهـو قطعـة مـن الظـلام لا يـتراءى للعـين، لأن الحلكـة تـستر الكائنات، وعندما تعود الطيور الأخرى إلى أعـشاشها وقـت الـشفق، يخلو له الجو وينبعث صوته فى الهزيع الثانى، ويبدأ أغنيته، ويظل يـشدو حتى يجعـل الليـل عـامراً يفـيض حيـاة، وفى أبيـات أخـرى مـن نفـس القصيدة، قصيدة سنة ١٩١٣، يبين الشاعر أن لغتـه "يقـصر عنهـا كـل بيان" وهو مثل كاهن يتهجد فى الليل [2]، وعلى هذا النحو يمضى الشاعر فى تعديد معالم الطائر بالصور التى تتكون مادتهـا مـن طبيعتـه، وأحيانـاً يوسع صوره بالفن، وينميهـا بالخيـال، وكثـيراً مـا يتغلـب الخيـال عـلى

(١) العقاد: ديوان يقظة الصباح.

(٢) عباس محمود العقاد: ديوان يقظة الصباح، قصيدة "الكروان".

الواقع دون أن يطمسه، وإن كان الخيال فى كثير من الأحيان يترجم الواقع، وفى كل الأحوال لا يتجاوز مداه ويصل إلى الزيف والكذب.

وقد توشحت فى القصيدة الصور الجميلة بالصور الجليلة، فمن الجليل المهيب المروع "الهزيع الثانى" و "موج الدياجر" و "الليل البهيم" و "ترتيل الراهب"، ومن الجميل المبهج "رفرفة الصوت" أو الصوت الرفاف أو غناء الكروان، وإحياء الليل أو إيناسه، والحداء للكواكب، وفرحة الجذلان، وهذه الصورة جليلها وجميلها عمل جمالى عند فلاسفة الجمال مدام يترك أثراً فى النفس، وهو من لعب الشاعر وفنه فى قصيدته، وفى الوقت نفسه له صلة وثيقة بالطائر والطبيعة.

أما الزمن فى القصيدة فهو الربيع بداية العام، والليل الذى ينشط فيه الكروان، والشاعر فى ظل هذين الزمنين جائش يقظان يصغى للحون الطائر المنعشة، ويمتع عينيه بأضواء المساء، وينظم ما يوحى به الجمال، ويظل ينعم بهذه الأوقات إلى أن يأتى الشتاء ويختفى أو يكاد الكروان، وعلى هذا فإن التنعمات، فى موضوعنا، هبات الكروان والزمان.

والزمن هنا لا يقتصر على ليلة أو فصل سمع فيهما الشاعر طائره الغريِّد، وإنما هو ممتد من تاريخ نشر أول قصيدة فى سنة ١٩١٣ إلى

ظهور آخر قصيدة سنة ١٩٣٤ [1]، أى استطالت عشرتها واستغرق نشر الكروانيات حوالى عشرين سنة ازداد فيها الشاعر عشقاً وتعميداً، ولا يعنى كلامى أنه كان طوال هذه الفترة مشغولاً بطائره فحسب وإنما نثر وشعر كثيراً، ولكن كان الطائر فى ضميره، ينظم فيه، وينفلت منه ثم يعود إليه، أى كان انشغاله به متصلاً منفصلاً فى آن وان.

وقد عمل هذا الزمن الطويل نسبياً على تغاير صيغ الفعل بين ماض ومضارع، مما يعنى أنه كان يسترجع ذكريات نائية ولكنها ما زالت تتنهد، لذلك يقول للكروان فى قصيدة "عودة الكروان": "أنت ذكرى" وفى هذا التعبير دلالة على زمن ماض، أو قوله فى "هدية الكروان" عنه:

اسمعتنى بالأمس ما لا عهد لى
بسماعه فى غابر الأزمان

وقوله: "علمتنى بالأمس سرك كله..." وقوله: "نحن نستحي به تلك الدهور". وغيرها، كذلك فإن الزمن يتمثل فى تقدم عمر الشاعر، فقد ساغ غناءه، وصاغ قصيدته الأولى زمن الصبا، وقصيدته الأخيرة فى الكهولة، ولهذه الفترة إيقاعها، فقد استدرك ما فاته، وعمّق فكراته،

---

(١) نشرت قصيدة عودة الكروان فى جريدة الجهاد وأعيد نشرها فى ديوان عابر سبيل ١٩٣٧.

وأعانته فى هذا الزمن ملاحظاته وقراءاته، وعلى هذا فإن التراكم الكمى من الكروانيات تم فى الزمن، كذلك للزمن دلالة على التطور والترقى فى أشعاره، وأما التنوع الكيفى، فراجع أيضاً إلى الزمن، ذلك أن الحياة الباطنية فى صيرورة نتيجة التأثرات بالوقت والبيئة، وأثر هذين فى إدراك الحقائق، وتفهم معطيات الحياة.

مطرب العقاد:

والكروان طائر الأسحار، صادح الليل، وشارح الصدر، يأتى إلى شاعره ويؤدب مأدبة غناء، ويناديه ويناجيه، أما الشاعر فيقول، وقد واكبته هتفات الطائر:

بت أصغى لها، وأقبس منها

ثم ترجمتها لمن شاء شعرا

والكروان ساهر والشاعر ساهد:

سهران فى الليل شاد

فكلنا سهران

ويكرر الشاعر المعنى السالف ويضيف إليه فى قوله:

ومن يقظات فيك نشوى

نعاف النوم أم من سوء حال؟

ويعاهد الشاعر الكروان بألا يسمع فى الصيف سواه.

عاهدت هذا الـصيف لـست بواهـب

سمعى سواك فهـل تـراك معاهـدى؟

وفى "عودة الكروان":

قـد سـمعناك بـالقلوب وصـدقناك

فاسـبح بحمـد دنيـاك سـبحا

وغير هذا مما يفيد شغف الشاعر بالطائر وإصغائه له.

فلسان الطائر الـصائت بالتغريـد، قـابض عـلى حـواس الـشاعر، مستولٍ على مشاعره، وموجه لمداركه، والـشاعر يـصيخ للطـائر بقلبـه، ويحشد عواطفه الحانية لتحيته، فلا عجب من أن يقول العقاد الشاعر ما يمور فى وجدانه فى الطائر الذى منحه لحظات بهيجه فى الحياة.

والشاعر فى الأبيات السالفة يعبر عن تجربته المتجددة التـى تغـرى بالتكرير كلما سمع الطائر، وهو وإن كـان يعـايش كروانـه، ويرحـل إلى عالمه فإنه لا يتلاشى فيه، وإنما يتواءم معه يقول:

فى عزلــة أنــا والحبيـب تؤمنـا

دنيـا الجـمال ونحـن منفـردان

فإنهما يتناوبان الإنشاد والإنصات، فالطائر يبعث بمقاماته الموسيقية، والشاعر يجاوبه بقوافيه الشعرية، ويغنيان سوية ويسمعان نفسيهما معاً، بل إنهما يتداخلان، يقول الشاعر:

صدحت فى نفسه أنفسنا

فتسامعنا سواء وسمعنا الكروان

أى عندما تواشجا صار الشاعر والطائر يسمع أحدهما الآخر، وما أجمل قوله "وسمعنا الكروان" أى الشاعر الكروان سمعا معاً، أغنية روحية تتنفس فيها نفسان، ولا تدرى من منهما استملك الآخر وضمه فى برديه، ووفقاً لما بين يدينا من نصوص، فإن الشاعر هو الساعى إلى الطائر للتآلف معه، والعيش فى كنفه، ونراه لا يخفى رغباته وتطلعاته يقول:

أنا فى جناحك حيث غاب مع الدجى

وإن استقر على الثرى جثمانى

أنا فى لسانك حيث أطلقه الهوى

مرحاً وإن غلب السرور لسانى

أنا فى ضميرك حيث باح فما أرى

سرا يغيّبه ضمير زمانى

تكرار حـرف الجـر "فى" فى الأبيـات لا يفيـد تـداخل الـشاعر فى كروانه فحسب، وإنما الاطراد والاستمرار، وقد تفنن الشاعر فى تفصيل هذا التداخل، فهو يبدأ من الظاهر ويبين أنه فى الجناح، ويتـدرج فيـذكر أنه فى لسانه، ويمضى فى هذا التسلسل حتى يـصل إلى ضـمير الطـائر أو عمق أعماقه.

وهذه الصور وإن بدت حسية، فإنها ذهنية من نشاط المخيلة ناتجـة عن إحساسات ومدركات يُشكل منها، ويُقيم صلة بينها، وتظهـر فيهـا طاقتـه الـشعرية، وتتـدخل ذاكرتـه وثقافتـه فى صـياغتها، وإخراجهـا للجمهور فى شكل فيه غرابة، إذ لابد أن نخرج عن القول العام المبتذل: إن الكروان صوته جميل، ونتفنن فى صوغ كلام آخر يهتزله القارئ.

وهذه الصور تبـين أن علاقـة الـشاعر بـالكروان علاقـة مفتوحـة ومتجددة، وكلما تجددت تخلّقت صور جديدة، لأن أحاسيس الأمس لا تناظر أحاسيس اليوم، والعبقرية من صفاتها قدرة النفس على التجديد.

وبين الشاعر والطائر هدايا كثيرة متبادلة، فـالأول يهـدى القـصيد والثانى يهدى التغريد، وكأنهما مغنيا الطبيعة الليلية، وهدايا هما متوافقـة فى عالم الجمال، أو قل إن قـصائد الـشاعر هديـة يقـدمها للطـائر مقابـل الغناء، وفى قصيدة (عودة الكروان) يطلب الـشاعر مـن أليفـه أن يمـلأ

أرواح الناس وينثر عليهم الأهازيج من صوته الرفاف فى أكرم ساعات الليل، وفى قصيدة (الجناح الصاعد) يطلب الشاعر من الساهرين وبخاصة الشعراء أن ينتبهوا للطائر، ويحسنوا إليه، ويرغبهم فى الرد على تحية (المغنى الخالد)، يقول الشاعر فى لحظات صفاء، وقد صات الكروان وابتهل:

حادى الظلام على جناح صاعد
يا أرض إصغى يا كواكب شاهدى
يا ساهدين على انفراد فى الدجى
ردوا التحية للفريد الساهد
لهجت طيور بالضحى وتكفلت
بالليل حنجرة المغنى الخالد
إن كنت تشفق أن أراك فلا تزل
فى مسمعى وخواطرى وقصائدى

ورد التحية هنا دعوة إلى تذوق الغناء، لأنه يعمل على تربية العواطف، وتدفئة المشاعر الباردة، وترقية الذوق، وليست هذه الكلمات من الإنشاء والبيان، وإنما هى من الواقع، فإن أم كلثوم فى أغنية

(شمس الأصيل) تـذكر ضـحكة الكـروان وتحاكيهـا [1] ممـا يعنـى أنهـا أطالت الإنصات إلى صوته، وهـى بتقليـدها ضـحكة الكـروان تـؤدى تحية، ضمنية أو مجازاً له، وترغب فى أن تكون كروانـة أو تريـد أن يقـال انتقلت الكروانة من عالمها العلوى إلى العالم الأرضى.

وقد اتسع بحر الكامل (متفاعلن) بتفعيلاته الست لما أراد الـشاعر قوله ومعانى القصيدة المعتزة بصياغتها، واضـحة، وتفيـدنا بـما يرغـب الشاعر فى إحاطتنا به علماً، وجرس ألفاظها صائح النغم، وكلماتها سهلة لا تجهد اللسان فى نطقها لخلوها من اللفظ الثقيل، والجُمـل لـيس فيهـا تقديم وتأخير يـشوشها، والقـصيدة فى مجملهـا تطـرب الأذن بقوافيهـا المطردة، وإيقاعاتها المؤتلفة.

(١) تقول أم كلثوم فى أغنيتها:

أنا وحبيبـى يـا ليـل غـايبين عـن الوجـدان

يطلـع علينـا القمـر ويغيـب كأنـه مـا كـان

فـايتين حوالينـا نـسمع ضـحكة الكـروان

عـلى سـواقى بتنعـىع الـلى حظـه قليـل

وعلى ذكر أم كلثوم والكروان، نذُّكر بأغنيتها المارحة الفارحة:

يا صباح الخير يللى معانا

الكروان غنى وصحـانا

أى أن الكروان بصيحاته، ورنات نبراته، طوّح النوم من عيون القوم فى أواخـر الليـل لينهـضوا ويضطلعوا بالكفاح.

هذا إلى جانب أن هذه القصيدة وغيرها من الكروانيات لا تعرب عن حمية الشاعر واستثارته فحسب وإنما تفصح عن تأمله وتجاوبه ونشوته، وهذا يتجلى فى إحساساته الذاتية الصادقة، ذلك أن الشعر الغنائى، هو أهم ألوان الشعر، لأنه يعبر عن قائله بصدق فى كثير من الأحيان وفى كروانياته يوضح شاعرنا فى تؤده حالتين مهمتين هما: حالته، وحالة الطائر، ويتكلم تارة إلى نفسه، وتارة أخرى إلى الطائر، والأمر موقوف علينا فى تقدير الحالتين، وإدراك ما يربط بينهما.

معارف ومواقف:

ولا تعرف سبباً لتحرز الكروان بالليل، ونفوره من النهار، أو لماذا سما فى الآفاق، وأقلع عن البرية وانتشر فى الأجواء، ونافى فى هذا المألوف للإنسان والحيوان، وكل ما نعرفه أنه يتدثر بالظلام، ويواصل الإصعاد إلى الأعالى، ويجاذب الآذان بصوته الصائح المتدفق فى عمق الأسحار، ولم يعلل علماء الطير هذه التصرفات، وقد تكون هذه طبيعته استجابة لفطرته، وقد حاول بعض الشعراء ذكر أسباب لهذا على سبيل الاجتهاد، ومن هؤلاء الذين ورد الكروان فى شعرهم عرضاً الشيخ محمد عثمان جلال [1] القائل:

(١) محمد عثمان جلال (١٨٢٨ – ١٨٩٨) من خريجى مدرسة الألسن، وتلميذ الشيخ رفاعة، عمل مترجماً بديوان الجهادية، والمعية السنية، ومن كتاب مجلة روضة المدارس، ونشر شعره فى =

ورأى الـشعاع الكـيروان فظنـه

قمـر الـسماء فطـار فيـه وصـاحا

أى أنه يتبع النور، وثريات السماء، وتشده أنوار القمـر، ويبـدو أن عثمان جلال تـأثر بقـول الأبـشيهى [1] إذ يقـول: (لا ينـام غالـب الليـل خصوصاً فى القمر)، وقد يكون فى هذا بعض الصواب، لأن نوعـاً مـن الكروان لا يحلق شتاء، ربما لأن السماء مضببة ملبـدة بـالغيوم الداكنـة، ويطير فى باقى الفصول، لأن السماء تكون صافية جلواء والقمر ساطعاً، ولكن الأستاذ ينفى تعلق الكروان بـأنوار الـسماء، ويـذكر علـة أخـرى ذهب فيها إلى أن الكروان لا يؤنسه النور، ولا يهوى ظلام الليل، ولكنه ينطلق فى الأوقات الداجية لأنها تستره، أى أنه يبحث عن الأمـن الـذى يتحقق فى العزلة، ولم يقل الشاعر (الوحدة) لأن الإنسان مثلاً يمكن أن يكون فى وحدة مع نفسه حتى ولو كان بين مئات من البشر، أمـا العزلـة فتكون فى مكان خالٍ ناءٍ متوارٍ، يقول العقاد الشاعر:

ما أنـت بالليـل مفتونـاً ولا كلفـا

بـالنجم أو بظـلام حـين سرى

= الوقائع المصرية، وترجم (العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ) وترجم ترتـوف لمولبير إلى اللهجة المصرية تحت عنوان (الشيخ متلوف) وترجم بول وفرجينى، وولد فى بنى سويف.

(١) كتاب المستطرف للأبشيهى (٧٩٠هـ - ٨٥٢هـ).

وإنــــما أنـــت مفتـــون بعزلتـــه

وبالأمـــان الـــذى تلقـــاه مـــستترا

وقول الأستاذ العقاد بميل الكروان للعزلـة يتماشـى مـع الأقـوال العلمية والنظرة العربية للكروان، فالمعروف عنه أنـه فـرّار كثـير النفـار جبان يفزع من الطيور الأخرى، لـذلك يفـضل العزلـة، ويقـول محمـد محمد عنانى: إنه من الطيور الوجلة الحـذرة، ويقـول عنـه عـالم الطيـور محمد شرف: (هو طائر كثير الحذر والحمق، إذا اقـترب منـه عـدو كـان أول الطير زعراً، وفر خائفاً) [1] لذلك يقول الأستاذ العقاد:

وأمـــــن دجـــــاك وإن عرفــــــ

تــــك فى الحيـــاة قليـــل أمـــن

ويركز الأستاذ العقاد على أمن الكروان فيقول:

يحـدو ويـشدو لا مـساعد حولـه

أبـــداً ومـــا هـــو آمـــن لمـــساعد

فإذا انتقلنا إلى الأمثال والأشعار العربية ألفينا أنه يضرب بـه المثـل فى الجـبن والـذعر والرعـب، ففـى كتـاب (الـدرة الفـاخرة فى الأمثال

(١) مجلة أبولو – فبراير ١٩٢٣.

السائرة)[1] أن فلاناً (أجبن من كروان، فهو من خشاش الطير) وخشاش الطير صغاره وشراره، ويقال: أجبن من ليل، والليل فى أقوال كثير هو فرخ الكروان والنهار اسم لفرخ الحبارى، ويظن البعض أن هناك قرابة بين الكروان والحبارى، وفى كتاب (بهجة المجَالس وأنس المُجالس)[2] بيت فيه:

ألم تـر أن الزبـد بـالتمر طيـب
وأن الحبـارى خالـة الكـروان

ويقول ذو الرمة فى جبن الكروان:[3]

من آل أبى موسى ترى الناس حوله[4]
كـأنهم الكِـرْوان أبـصرن بازيـا

أى أن الناس يهابون آل أبى موسى كما يهاب الكروان البازى وهو نوع من الصقور، وقال مكى بن سواده فى خالد بن صفوان الأهتمى:

(١) الدرة الفاخرة من تأليف حمزة الأصفهانى، وهو فارسى من أصفهان ت ٣٥١هـ.

(٢) بهجة المجالس، كتاب للإمام أبى عمر القرطبى، أندلس (٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ).

(٣) ذو الرمة شاعر إسلامى، أموى، من شعراء التصوير، اشتهر بحبه لمى، وهو غيلان بن مسعود، ولقبه ذو الرمة (٧٧هـ - ١١٧هـ).

(٤) هم آل أبى موسى الأشعرى.

تـــرى خطبـــاء النـــاس يـــوم ارتجالـــه

كـــأنهم الكِـــرْوان عـــاينّ أجـــدلا

وكان خالد بن صفوان خطيباً جليلاً تنظر النـاس إليـه بهيبـة، كـما تنظر الكِرْوان إلى الأجدل، والأجدل هو الصقر.

ويقول الأستاذ العقـاد فى مقدمـة ديوانـه (هديـة الكـروان): (إن الكروان يألف أطراف الصحارى) ويؤيد هذا قول شاعر:

إذا الكـــروان صـــاح عـــلى الرمـــال

وحـــل البـــدر فى بـــرج الكـــمال

فهـــات الكـــأس مترعـــة ودعنـــى

أبـــادر لـــذتى قبـــل ارتحـــال

وتناول علماء الطـير طعـام الكـروان، وقـال محمـد شرف فى مجلـة أبولو، بعد صدور ديوان هدية الكـروان: (طعامـه الـدود والحيوانـات الهلامية الصغيرة، والحـشرات، وصـغار الـسمك) [1] ولم يكـن الأسـتاذ العقاد بعيداً عن هذه المعلومات، فقد قال فى (هدية الكروان):

---

(١) مجلة أبولو – فبراير ١٩٣٤ .

وقــالوا تــسرق الأعــشاش عمــداً

عــلى كــسل وضــعف فى الخــصال

وإنـــك بـــالتراب شـــبيه حـــال

وبالديـــــدان منهـــــوم مغـــــال

وهذا يبين أن الأستاذ، وهو أبو المعارف، حينما نظـم فى الكـروان، كان عارفاً به، ملماً بأدق المعلومات عنـه، متـصلاً بـسبله، ومرمـاه غـير بعيد، وأن ما ورد فى دواوينه (يقظة الصباح) و (هدية الكروان) و(عابر سبيل)، لم يكن كلاماً وجدانياً خالـصاً يـذكر فيـه مـشاعره وخـواطره، وأنشطة مخيلته، وإنما فيه من العلـم مـا فيـه، ولأنـه شـاعر فقـد جـاءت معارفه فى صور شعرية.

ثم إنه لا يكتب بحثاً علمياً عن الكروان، وأضيف إلى هـذا أن مـا سطره عن الكروان لا يصلح أن يقال فى بلبل أو غراب.

نقد:

وقد تعرض ديوان (هدية الكروان) لهجمات ضارية قاسية، فتح لها أبو شادى صفحات أعداد مختلفة من مجلة (أبولـو) عـام ١٩٣٤، ومـن يقرأ تلـك الـصحائف المختـصة بالنقـدات والافـتراءات، يـدرك أن مـا حـصده نقـاد أبولـو ممـا أنبتـوه بـائر تـالف. فبعـد أن تـأثر أبـو شـادى

بها نظمه العقاد فى الكروان وأفـاد منـه، اعتكـر مزاجـه، وانـدرأ عليـه، وشجع على نقده.

ولما لم يجد شعراء ونقاد أبولو قصيدة كاملة عن الكـروان فى قـديم الشعر وحديثه ليوازنوا بين ما قيل من قبل وما قالـه (هديـة الكـروان)، اتجهوا إلى الشعر الإنجليزى لا للمقارنة، وإنـما لإتهـام الأسـتاذ العقـاد بالسرقة واقتباس المعانى. فذهب مختـار الوكيـل إلى أن الأسـتاذ العقـاد أخذ من قصيدة (القبرة لشلى)، وترجم الأبيات التى زعم أنهـا مـسروقة إلى الشعر العربى، وترجمة الشعر من لغة إلى أخـرى يحتمـل فيـه تـدخل الشاعر المترجم ليحافظ على الوزن والقافية، ومع ذلـك نـورد شـيئاً ممـا قاله هذا الناقد المترجم الداهية الذى كشف سرقة كبرى افتضت عـذرة قصيدة (الكروان المجدد) الواردة فى هدية الكروان قال الوكيل: (يهيـب شلى بقبرته هاتفاً: بحق جمالك يا قبرة/ تقولين ما جال فى خاطرك، فـلا يحب العقـاد المجـدد أن يفـوت هـذه الفكـرة دون اقتناصـها فيقـول فى الكروان المجدد: قل ما اشتهيت القول يا كروانى) أ.هـ. [1]

وتعليقنا أن الأستاذ العقاد سرق هـذه العبـارة، ولكـن لـيس مـن شلى، وإنما من بائع البطيخ الذى يقول طول النهـار للزبـون (قـول الـلى

(١) مجلة أبولو يناير ١٩٣٤.

إنت عايزه) أو أن (شلى) سرقها من بائع البطيخ، والأستاذ العقاد سرقها من شلى لأن الشيخ البعيد سره باتع وحتى فى هذه الحالة لا تعد سرقة، لأن بضاعتنا ردت إلينا، إن هذه العبارة يقولها كل شخص فى العالم لآخر، ولا يعجز الأستاذ العقاد عن قولها فيسعى إلى سرقتها. وعلى هذا النحو أخذ (الوكيل) يبدى ويعيد، ويكتب كلاماً بطل فيه الجوهر والعرض، ولم يصل منه إلى غرض.

وممن تعرضوا لـ (هدية الكروان) بالنقد د. محمد مندور، وكان الأستاذ العقاد قد قال عن أناشيد الكروان:

هـن اللغـات ولا لغـات سـوى التـى

رفعـت بهـن عقـيرة الوجـدان

فقد اعترض مندور على (عقيرة الوجدان) وكتب صفحة كاملة فى نقدها وابتعد كثيراً عن الموضوع، وأخيراً قال: (فهذه العقيرة لا ندرى كيف تلصق بالوجدان) ورأى أن الشاعر ارتكب (وزر استخدامها لصيقة بالوجدان فى شعره الحديث) أ.هـ[1] ولنبدأ فى توضيح معنى (عقيرة)، يقول الفيروزآبادى إن العقيرة هى (صوت المغنى والباكى

(١) د. مندور، الشعر المصرى بعد شوقى.

والقارئ)[1] ويقول قاموس (المنجد) (يقال رفع عقيرته أى صوته) ولا أدرى ما الخطأ؟ فإن الإنسان والحيوان يرفع صوته، ونحن فى الأرض نسمع الكروان وهو فى السماء، ثم إن اللسان ليس مصدر الصوت، وإنما إذا جاء الإنسان خبر محزن أو سار فإن الوجدان يهتز ويرتج، فيصرخ الإنسان، واللسان مجرد أداة. وعقيرة كلمة عربية نصت عليها المعجمات، أما إذا كانت ثقيلة من وجهة نظره. فكان عليه أن يقترح كلمة بديلة أنسب للبيت، لأن النقد إصلاح، وكيف يكون شيخ النقاد ولا يجد كلمة أنسب منها، أو أنه مثل النطاسى الذى يشخص الداء، ولا يقدم الدواء، إن مندور يريد من رشقاته أن يدهك شعر العقاد، ولم يحقق غرضه، فهل هذا لأنه لم يحسن اختيار الوسيلة التى يتوسل بها، والحيلة التى يتوصل بواسطتها؟ أو لأن شعر العقاد امتنع عليه؟ فقد راح فى شعر العقاد وجاء ولم يقنع كما شاء.

وممن انتقدوا (هدية الكروان) الدكتور عبد المحسن طه بدر، وكانت عبارته فيها من البغض أكثر مما فيها من النقد، والبغض يطمس البصيرة فتملى عليه القول الخائب فيحبط عمله، ويسقط رأيه، وقد تعسف، وقال: إن شعر العقاد فى الكروان عبارة عن أحكام عامة،

(١) الفيروزآبادى، القاموس المحيط.

وأفكار مستجلبة (بحيث يـصبح الكـروان لـيس مجـرد أداة يـستخدمها للتحدث عن آرائه وأفكاره، ولن تستطيع أن تجد إحساساً معيناً). [1]

ولا أرغـب فى الـرد عـلى هـذا الافـتراء، فـإن قـصائد الـشاعر، وما سقناه من أبياتها ضامة لأفكاره وإحساساته، لأنـه تنـاول الكـروان بعاطفتـه وعقلـه ومعلوماتـه، وأشرنـا لكـل هـذا، ومَـن مِـن الـشعراء أتى بعـشر قـصائد فى الكـروان قبلـه أو غـيره، لقـد انـصهرت أفكـاره وحواسه وتمازجـت فى هـذا الـشعر الـذى وضـح فيـه الكـروان حتـى رأيناه جسداً وروحاً.

وكُتب عن (هدية الكروان) فى دوريات مختلفة وكَتب آخرون مثل معاوية نور وعبـد الـرحمن صـدقى ويوسـف طـيرة وسـليمان درويـش وغيرهم وهم بين مادح وقادح.

الختام:

وقيمة كروانيات الشاعر تتمثل فى أنها أكبر مجموعة شعرية فى هـذا الموضوع الذى ظل مغموراً مجهولاً زمناً طويلاً، وليس فى الشعر العربى من قبل ومن بعد عشر قصائد تضاهى هذه المجموعة.

---

(١) د. عبد المحسن طه بدر، التطور والتجديد فى الشعر المصرى الحديث.

وقد نظم أبو شادى، فيما بعد، شعراً سمّاه الكروان، ولكن شتان ما بينه وبين الطائر الذى جاء فى شعره قصيص اللسان، أما قصائد العقاد العشر فقد جاءت بمنزلة ترجمة شعرية مطولة للكروان، استبان فيها بعض أسراره وخفاياه وشد بها الانتباه.

أظهر شاعرنا أن الشعر أوفق للكروان، وألطف تعبيراً، وأكثر تأثيراً من النثر، فالتعبير الخيالى الشعرى، مميز عن التعبير النثرى، فى مثل هذا الموضوع، لأن التعبير النثرى يعجز عن التحليق لتقيده بالحقيقة، ولا يعزب عنا ما بين غناء الطائر وشعر الشاعر من توافق، ففى الشعر تناغم منتظم، يلائم ما فى الطائر من نبر مطرد، والأصوات فى الطبيعة طبيعة أخرى تتجلى فى ريحها وأمطارها، وطيرها وأمواج بحارها، والإنشاد عند الإنسان فطرى سليقى، فلا جرم أن تلاقت أصوات الطبيعة مع أغانى الإنسان.

وكروانيات الشاعر انتصرت للكروان بالتعبير عنه بالشعر، وانتصر الشاعر للشعر برفده بموضوع غنى بالنغمات. ولا يعنى كلامى أن يقتصر التعبير عن الكروان بالشعر، فالنثر يمكن أن يقول، ولكن هناك أقوالاً تقبلها شعراً، ولا تقبلها نثراً، وعلى أية حال فإن الشعراء هم الذين شعروا فى الكروان، وحنوا عليه، وشاركوه إنشاده أكثر من غيرهم.

وهذه الكروانيات ليست ثمرة قراءات، وإنما تجديد وابتكار، والتجديد ليس شن غارات على تقاليد القصيدة العربية، وإنما بتنويع الموضوعات، والنظم فيها بعد الإحساس العميق بها فى إطار شعائر وشرائط العروض.

وكانت هذه الكروانيات وراء كل ما ظهر من أعمال أدبية وفنية شملت اسم الكروان، فقد أحدثت نهضة كبرى لا ينكرها إلا حانق أو حاقد.

وقد أثرت قصائد (هدية الكروان) فى الدراسات النقدية، فلم تُهمل الكتب التى تناولت الشعر الحديث، وبخاصة شعر العقاد، هذا الموضوع سواء أجاد الكلام فيها ثناء أو هجاء مما جاد على النقد الأدبى بتحليلات ونظرات نقدية.

وأظهرت الكروانيات عاطفة رقيقة فى الشاعر تعاطفت مع طائر ضعيف مخذول يعتوره الخوف ويلوذ بالظلمات المدلهمة، ويتوارى عن الناس، والطيور الفاتكة، ويختار الانطواء على الفناء، وهذا التعاطف، وإن كان فيه مجازات، لم يتجاوز فيه ظواهر الطائر، والعطف يكشف ما تنطوى عليه العواطف الإنسانية، وقد اشتهر الأستاذ العقاد

بالـــدفاع عـــن الجوانـــب الـــضعيفة فى الحيـــاة [1]، ومنهـــا الكـــروان، وكروانياتـــه تظهـــر هـــذه الحالـــة النفـــسية نحـــو طـــائر تـــسربل بـــالظلام، وآثر العزلة والسلام.

والآن يـــا أشـــجى المطـــربين، يـــا مـــن تراثـــه خالـــد فى الآذان... والوجدان، تترك مثواك الليلى، وتسكت الأوتار وتتوارى فى النهار، فلا نسمع فاصلك الموسيقى، فإلى اللقاء إن كان لنا فى الحياة حياة.

أحمد حسين الطماوى

(١) قال الأستاذ العقاد وهو يتذكر سنى تعليمه الأولى فى كتاب (أنا): (كانت المفاضلة بين شـيئين هى المحور الغالب على موضوعات الإنشاء فى أيامى بمدرسة أسـوان، أيهـا أفـضل المـال أو العلـم؟ الـذهب أو الحديـد؟ الـصيف أو الـشتاء؟ الـرأى أو الـشجاعة... إلى أشـباه هـذه المفاضلات، وكان من عادتى أن أختار أضعف الجانبين...).

وفى قـصائد كثـيرة يظهـر تعاطفـه مـع الـضعفاء، مثـل قـصائد (الـشاعر الأعمـى) و (حسناء عمياء) و (العقاب الهرم)، فلا جرم أن يتعاطف مع الكروان.

عباس محمود العقاد

هدية الكروان

شعر

مُقَدِّمَة

فى اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف، وكانت لياليهما السواحر الحسان، وكان هتاف الكروان الذى لا ينقطع من الربيع إلى الخريف، ولا يزال يتردد حتى يسكنه الشتاء. وأكثر ما يسمعه السامع فى حوافى مصر الجديدة حيث أسكن وحيث يكثر هذا الطائر الغريب، لأنه يألف أطراف الصحارى على مقربة من الزرع والماء، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التى كان يسكنها الزهاد بين الصحراء والنيل، فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب.

ولى بالكروان ألفة من قديم الأيام، نظمت فيه القصيدة النونية التى أقول فى مطلعها:

هل يسمعون سوى صدى الكروان

صوتاً يرفـــرف فى الهزيع الثانى

وأودعتها الجزء الأول من الديوان.

ثم أعادنى طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه فاجتمعت عندى قصائد عدة فى مناجاته. وكأننى كنت أعارضه وأساجله بكثير

من القصائد الأخرى التى اشتملت عليها هذه المجموعة، فصحَّ على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله (هدية الكروان).

ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام. فأما غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا، لأننا نتكلم عما فيه من شعر يوحى الشعر، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان.

تسمعه الفينة بعد الفينة فى جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبِّه لك الزاهد المتهجد الذى يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة، ويشبِّه لك الحارس الساهر الذى يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة، وينطلق بالغناء فى مفاجأة منتظرة أو انتظار مفاجئ فلا تدرى أهى صيحة جذل أم هى صيحة روعة وإجفال، ولكنك تشعر بالجذل والروعة والأجفال تتقارب وتتمازج فى نفسك حتى لا تتفرق، كأنك تصغى إلى طفل يرتاع وهو جذلان ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه لأن للخطر فى حسه طرافة وحركة، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص.

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك، وعن اليمين وعن الشمال، وعلى الأرض وفوق الذرى، فيخيل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لا يقيده المكان ولا يعرف المسافة، أطلقوه فى الدنيا على حين غرة فسحرته

فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل، فهو لا يعرف القرار ولا يصبر فى مطار. فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالماً من معانٍ وأشجانٍ يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الأمين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال: عالم لا نظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار.

ومن العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون، على كثرة ما يُسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب!

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلاَّ مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء!

فكأنما العامة عندنا أصدق شعوراً من الشعراء، لأنهم يلقبون المُغَنّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون.

وليس من تعصب منا للوطن تؤثر الكروان على البلبل وما إليه، لأن التعصب الوطنى على هذه الصورة حماقة لا معنى لها فى الشعر والشعور، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق. أما الإعجاب بالطير الذى لا نسمعه فذاك محاكاة منقولة

تصدر من الورق البالى وتؤذى النفس كما يؤذيها كل تصنع لا حقيقة فيه، وأخف موقع له فى نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية. كذلك الأصم الذى أراد أن يخفى صممه فى مجلس الغناء، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولا سامعين!

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه فبماذا عساه يشعر؟ إن الطير المغرد هو الشعر كله لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير الموسيقى. فمن لم يأنس به لم يأنس بها فى هذه الدنيا من طبيعة شاعرة ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير.

والطير بعدُ هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان، فهو عند الشاعر وثيقة لا يعرض عنها ولا يفلتها من يديه، فإذا قال الجفاة الجامدون إن الشعر لغو فى الحياة قال الشاعر إن التعبير الموسيقى عنصر من عناصر الطبيعة، وإن الطير يغنى ويهتف، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن، كأن الغناء والتعبير عن الشعور هما غاية الحياة القصوى، لا ينساها الحى إلاَّ لعائق يشغله ويغض من حياته.

والجفاة الجامدون يقولون كثيراً عن الشعر فى الزمن الأخير: يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذى تفيض به الطبائع الحية ولاسيما

الأحياء المغردة الطائرة، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكل أمة ولكل قبيلة ولكل لغة، فلو كان شيئاً عارضاً فى الحياة الإنسانية لما وجد حيث توجد الحياة الإنسانية، ولو كانت الموسيقى نافلة فى الدنيا لما وجدت فى أمة الطير، وإذا وجدت فى لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانى وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان؟

فبين الطائر المغرد والشاعر الشادى محالفة طبيعية لا تحنث فيها الطير ولا تقصر فى إسداء حصتها الخالدة، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفى كل دينه ولن يستنفد كل حصته، فلتكن (هدية الكروان) بعض الهدايا التى يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء.

عباس محمود العقاد



الكرانيات



هتفات الكروان[1] بالليل تـــترى

ومعـاني الربيع نوراً وعطرا

وجمال الحياة حباً وحســــــناً

وشبـاباً يفيض عطفاً وبشرا

بتُّ أصغى لها، واقبـــــس منها

ثم ترجمتـــها لمن شاء شعرا

(١) جمع كروان بفتح الكاف والراء.

الكروان المجدد

قبل عشرين سنة نظم صاحب الديوان قصيدة (الكروان) وفيها هذه الأبيات:

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتاً يرفرف فى الهزيع الثانى

من كل سار فى الظلام كأنه
بعض الظلام، تَضله العينان

يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
موج الدياجر، دعوةَ الغرقان

....
....

ما ضر من غَنَّى بمثل غنائه
أن ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا فى الحياة كثيرة
الخوف فيها والسَّطا سيان

*****

يــا محيــيَ الليــل البهــيم تهجــداً

والطـــير آويـــة إلى الأوكـــان

يحدو الكواكـب وهـو أخفـى موضـعاً

مـــن نـــابغ فى غمـــرة النـــسيان

قـــل يـــا شـــبيه النـــابغين إذا دعـــوا

والجهـــل يـــضرب حـــولهم بجـــران

كـــم صـــيحة لـــك فى الظـــلام كأنهـــا

دقـــات صـــدر للدَّجنَّـــة حـــان

هـــن اللغـــات ولا لغـــات سـوى التـــى

رُفعـــت بهـــن عقـــيرة الوجـــدان

إن لم تقيـــــدها الحـــــروف فإنهـــــا

كـــالوحى ناطقـــة بكـــل لـــسان

أغنـــى الكـــلام عـــن المقـــاطع واللُّغـــى

بـــث الحـــزين وفرحـــة الجـــذلان

***

وفى هذا العام نظم صاحب الديوان القصيدة التالية ليقول فيها إن ما سمعه من الكروان أولاً غير ما سمعه آخراً، وإن الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير!

<u>وهذه هى القصيدة:</u>

زعمــــوك غـــير مجــــدَّد الألحــــان

ظلموك، بل جهلـوك، يـا كروانـى

قــد غيرتــك. ومــا تغــيَّر شــاعراً

عــشرون عامــاً – فى طــراز بيــان

أســمعتنى بــالأمس مــا لا عهــد لى

بــسماعه فى غـــابر الألحــــان

ورويــت لى بــالأمس مــا لم تــروه

مــن نغمــة وفــصاحة ومعــان

***

شــكواي منــك، وإن شــكرتك، إنــه

سرٌ تــصرُّ بــه عــلى الكــتمان

شـكرى إليــك، وإن شــكوتك، إنــه

سرٌ تـــــــؤخره لخـــــــير أوان

كنـــز يـــصان فهـــات مـــن حباتـــه

ذخـــر القلـــوب وحليـــة الآذان

***

أنـــا لا أراك! وطالمـــا طـــرق النُّهـــى

وحـــيٌ، ولم تظفـــر بـــه عينـــان

أنا فى جناحك حيث غـاب مـع الـدجى

وإن اســتقر عـلى الثـرى جـثماني

أنـا في لـسانك حيــث أطلقــه الهــوى

مرحـا، وإن غلـب الـسرور لـساني

أنـا فى ضـميرك حيـث بـاح فـما أرى

سراً يغيّبــــه ضــــمير زمــــاني

أنـا منـك فى القلـب الـصغير، مـساجلٌ

خفـــق الرَّبيـــع بـــذلك الخفقـــان

أنـا منـك فى العـين التـى تهـب الكـرى

وتــضن بالــصَّحَوات والأشــجان

طِـرْ فى الظـلام بمهجـة لـو صـافحت

حجــر الوهــاد لَهــم بــالطيران

تغنيــك عــن ريــش الجنـاح وعزمــه

فرحــاتُ منطلــقِ الهَــوى نــشوان

فرحـــات دنيـــا لا يكـــدِّر صـــفوها

بــالمين غـــير سرائــر الإنــسان

***

علمتنـــــى بـــالأمس سرك كلـــــه

سر الـــسعادة فى الوجـــود الفـــاني

سر الــــــسعادة نفـــــرة ومحبـــــة

فـــيكم تؤلـــف نـــافر الأوزان

الكـــون أنـــتم فى صـــميم نظامـــه

وكـــأنكم فيـــه الطريـــد الجـــاني

أنـــتم ســـواء كالــصديق وبيـــنكم

بعـــدٌ كـــما يتباعـــد الخــصمان

لا يحمـــــل الطيـــــار وزر العــــاني

حمـــل ابـــن آدم عشـــرة الإخـــوان

لا عـــــالمٌ مــــنكم ولا مـــــتعلمٌ

كـــــــلا! ولا متقـــــــدم أو وان

متـــشابهين عـــلى الحيـــاة فكلكـــم

ســـاري ظـــلامٍ، هـــاتف بأغـــان

متفـــرقين عـــلى المُقـــام ودأبكـــم

عنـــد الرحيـــل تجّمـــع القطـــان

وكـــأنما نُـــسختْ لكـــلٍ نـــسخة

مـــن هـــذه الأجـــواء والأوطـــان

فهـــو الـــشريك عـــلى نـــصيب واحـــدٍ

وهـــو الوحيـــد فـــما لـــه مـــن ثـــان

ذخـر الطبيعـة منـه تُعطَـوْن الحجـى

لا مــن ســباق بيــنكم ورهــان

***

أنــتم بنــي الطـير المــسبّح فى الــدجى

فــيكم كهانــة صــالح الكهــان

بعــتم كــرى الغــافى وطِيــبَ رقــاده

وبــه اشــتريتم يقظــة اليقظــان

قــل مــا اشــتهيت القــول يــا كــرواني

في لهــــو ثرثــــار وحلــــم رزان

ســـأعيس مثلـــك لى وللـــدنيا معـــاً

وأقــول مثلــك كيــف يزدوجــان

وأظـــلُّ تــزدحم الحيــاة بمهجتـــي

أبـــداً ويجتنـــب الزحـــام مكـــانى

فى عزلــــة أنــــا والحبيـــب تؤمنـــا

دنيـــا الجـــال، ونحـــن منفـــردان

الليل يا كروان

الليـــــل يـــــا كــــروان	بـــــشراك طـــــاب الأوان

بـشراك؟ بــل أنــت بـشرى	تهفــــــو لهـــــا الآذان

ســـهران فى الليـــل شـــاد	فكلُّنــــــا ســــــهران

وإن تكـــن أنـــت حلـــماً	فكلنـــــا وســــــنان

وســنان لم يـــسهُ قلـــب	لــــــه ولا أجفــــــان

النـــوم فى الـــصيف وزرٌ	وفى الهـــــوى كفــــران

***

الليـــــلَ يـــــا كــــروان	مـــا أنـــت والنـــسيان

حاشـــاك مـــا أنــت ســاهٍ	عنـــــه، ولا كـــــسلان

الليـــل ذكـــرى وأنـــت الــ	ــــمذكرٌ اليقظــــــان

لكـــــنما أنـــــت روحٌ	وهـــل لـــروح مكـــان؟

بينـــا يقـــال قريـــبٌ	كأنــــه الوجــــدان

إذا بــــه فى صــــداه	كأنـــــه كيـــــوان[1]

إن كـــان فى الـــسمع طيـــفٌ	فأنــــت يــــا كــــروان

(١) النجم عطارد وهو إله الغناء والفنون فى عرف الأقدمين.

صـــــوت ولا جــــثمان | لحــــــن ولا عيــــــدان
كأنـــــــه هــــــاتف فى | فــــــضائه حـــــيران
أو رجـــع صـــوت قـــديم | يعيـــــــده الحـــــــسبان

***

الليـــــل يـــــا كــــروان | فــــأين منــــك البيــــان؟
ليـــل الطبيعـــة صـــمتٌ | وأنـــــت فيــــه لــــسان
وظلمـــــــةُ الليــــــل سرٌ | فـــاقرأه يـــا ترجمـــان
مـــا فى الظـــلام ظـــلام الحـــ | ـــياة لــــو يُــــستبان
إلاَّ صــــــياح اشـــــتياق | تروضــــــــه ألحــــــان
نـــصف الحيـــاة اضـــطراب | ونـــــــــــصفها أوزان [1]

***

الليـــل والـــصيف والحـــب | - كلهـــــــــــن أوان
وأنـــــت مـــــنهن طـــــراً | عـــــلى وعـــــودٍ تـــــصان
خـــذ صـــمتهن وصـــغه | شـــــدواً لـــــه سريـــــان

---

(١) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن، والشعور الفنى هو الحياة الكاملة.

غـــص فى قـــرار الــــدياجي ... فللـــــــــدجى شـــــــطآن

واســـتقبل الــــنجم علْـــوا ... إن النجـــــــوم حــــــسان

وخـــذ مـــن الـــصيف نـــاراً ... لا يعتليهـــــــا دخـــــــان

وارقـــص مـــع الحـــب دوراً ... دارت لـــــــه الأكـــــــوان

فى الأرض بيتـــــك ثـــــاوٍ ... وفى الـــــــسماء افتنـــــــان

وبــــين ذلــــك ملهـــــى ... للحـــــب، بـــــل ميـــــدان

واللهـــو في الحـــب فـــاعلم ... كـــــالحرب يـــــا كـــــروان

عليـــك مـــن ذا ومـــن ذا ... يـــــا ابـــن الليـــالى أمـــان

شـــادى الغـــرام لـــه مـــن ... ســـــكر الغـــرام ضـــمان

***

الليـــــلُ يـــــا كـــــروان ... والعـــــــالم الغفـــــــلان

ونـــسمة الـــصيف تـــسري ... وفى يـــــــديك العنـــــــان

والـــــصبح أول مَرســـــى ... يرتـــــــــاده الرُّكبـــــــان

ألا تَـــــــزاورَ (١) عنـــــه ... في الرحلـــــــة الرّبـــــان؟

---

(١) تزاور انحرف واعرض.

ومـــا ارتـــضاه ولكنّـــــــ ـــــــها الزمـــان زمـــان

فـــاملأْ مـــن الليـــل نفـــساً عزيــــــــزةً لا تهــــــان

لا هتفــــــةٌ فيـــــه تبقـــى إلى غـــــــــــــــدٍ أو أذان

الليـــــل يـــــا كـــــروان! الـــــصبح يـــــا كـــــروان!

***

سؤال الكروان

حذارَ البـأس أو حـبَّ الجـمال هتافك في الدجي يا ابن الليالى؟

ومن يقظات نفس فيك نشوىَ تعاف النوم أم مـن سـوء حـال

وعندك للنجـوم هـوى قـديمٌ أو أنــك كــارهٌ للــصبح قــال

وهــذا الطــير يــنعم في ضــحاه فمالــك في النعــيم بــلا مثــال؟

أضّل الطير ويحـك عـن هـداه أو أنك أنت وحدك في ضـلال؟!

وأين من الـضلال هتـاف حـر تنــزَّه عـــن نـــشوز وابتـــذال

***

وقــالوا مــا شــدا الكــروان إلا ليـــسأل عرســـه قـــوت العيـــال

وقالوا تسرق الأعشاش عمـداً على كـسلٍ وضـعف في الخـصال

وإنــك بــالتراب شــبيه حــال وبالديـــدان منهـــومٌ مغـــال

سألت وما أرى لك من جواب سوى اللحن الشجي على سؤالى
سأسمع منك أنغام الليالى وأسمع عنك أشتات المقال
ولا آلوك إصغاءً ووصفاً كلا الأمرين من همي وبالى
أبا لكروان - يا مظلوم - تُدعى وأنت عن الكرى المحبوب سال؟!
بحسبك أنهم كذبوك جهرا وأنك صادق الهتاف عال
وأنك مفردٌ في الطير لحناً وما استفردت فى تلك الخلال
إذا شابهتها في النقص حيناً فأين المشبهاتك في الكمال

***

غن يا كروان

قم غن يا كروان غنِّ
وتمنَّ في الدنيا ومنَّى
وأمن دجاك وإن عرفْ
تُكَ في الحياة قليل أمن
فيم المخافة يا سمير
ر الليل أو فيم التجني؟
لا أنت جزل فى الصحا
ف ولست فى قفص تُغَنِّي

كـــــــــلاً ولا في خافقيـــــــــــ

ـــــك الحـــائلين بريـــقُ حـــسن

والــــصقر نـــام وأنـــت وحـــــ

ـــــدك تمـــدح الـــدنيا وتثنـــى

لــــك كـــل مـــا دون الكـــوا

كــب مــن سـماك الليــل مبنــي

فـــأمن زمانـــــك أو فخـــــف

فـــالطبع دون الـــرأي يغنـــي

أني إخالـــــك لــــو أمنـــــــ

ـــــت لمــا هتفــت لنــا بلحــن

***

ما أحب الكروان!

ما أحب الكروان!

هل سمعت الكروان؟

موعــدي يــا صــاحبى يــوم افترقنــا

حيــث كانــت جـيرةٌ أو حيــث كنــا

هـــاتفٌ يهتـــف بالأســـماع وهنـــا [1]

هو ذاك الكروان، هو هذا الكـروان!

***

الكـــــراوين كثـــــير أو قليـــــلْ

عنـــدنا أو عنـــدكم بـــين النخيـــلْ

ثَـــم صـــوتٌ عـــابرٌ كـــلَّ ســـبيلْ

هو صوت الكروان، فى سبيل الكروان

***

لى صـــدى منـــه فـــلا تـــنس صـــداك

هـــو شـــاديك بـــلا ريـــبٍ هنـــاك

فـــإذا مـــا عـــسعس الليـــل دعـــاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

***

(١) الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه.

مفـــــــردٌ لكنــــــه يؤنـــــسنا

ســــاهرٌ لكنــــــه ينعــــسنا

صــــــدحت فى نفـــــسه أنفـــسنا

فتسامعنا سواء، وسـمعنا الكـروان!

***

واحـــــــدٌ أو مائــــــة ترجعـــــــه

عنـــــدنا أو عنــــدكم مطلعـــــه

ذاك شيءٌ واحـــــــد نـــــــسمعه

في أوان وبيان، هو صـوت الكـروان

***

واحـــــدٌ بــــين عــــصور وعـــصور

نحــن نـستحيي بـه تلـك الـدهور

لم يفتنـــا غـــابر الـــدنيا الغـــرور

في أوان الكروان، ما أحب الكـروان!

***

على الجناح الصاعد

حـادى الظـلام عـلى جنـاح صـاعدِ

يا أرض أصغي، يا كواكـب شـاهدي!

يـا آنـسين بـصحبة مـن وجـدهم

نُـصّوا المـسامع للأنـيس الواجـد

يـا سـاهدين عـلى انفـرادٍ في الـدجى

ردوا التحيـة للفريـد الـساهد

المـستعزِّ بعرسـه وكأنـه

منهـا نجـيٌّ مغـاور وفراقـد

لهجـت طيـورٌ بالـضحى وتكفَّلـتْ

باللـيل حنجـرة المغنـي الخالـد

يحـدو ويـشدو لا مـساعد حولـه

أبـداً، ومـا هـو آمـنٌ لمـساعد

أنـا صـائدٌ لـصداك، لـستُ بـصائد

لك أنت يـا كـروان، فـأمنْ صـائدي

بينــا أقــول هنــا إذا بــك مــن هنــا
في جــنح هــذا الليــل أبعــد باعــد
وودت يــا كــروان لــو القيــتَ لى
صــوتين منــك عــلى مكــان واحــد
إن كنــت تــشفق أن أراك فــلا تــزَلْ
في مــسمعي وخــواطري وقــصائدي
عاهــدت هــذا الــصيف لــست بواهــب
سمعى سواك، فهل تراك معاهــدي؟
مــن كــان قــد أغنــى الطبيعــة كلهــا
مُغِنّــي عــن شــاد ســواه وشــائد

ألف صدى

ألــــف صـــدى لهــاتف　　منفـــرد عـــلى الـــذرى؟
أم ألــــف شــــاد رددتْ　　هتافهـــــا مكـــــررا
أم ذاك روح أطلقــــــو　　ه فى الـــــدُّنى مُحـــــيَّرا
فَرادَهـــــا مـــــستغرباً　　وطافهـــــا مستبـــــشرا
فــــلا يقــــال مقبــــلٌ　　حتــــى يقــــال أدبــــرا

هـــــنَّ كـــــراوين الليـــــا لي أو فقـــل هـــو الكـــرا [1]

لا نقــــص إن قَلَّـــتْ ولا مزيــــــد فى أن تكثــــــرا

باركهـــا مـــن بـــارك الخلـــــــــد ومـــا قـــد أثمـــرا

شدو الآمن الخائف

يا صـاحب الليـل غـام الليـل أو سـفرا

ولـــفَّ ظلــماءه أو اطلـــع القمـــرا

مـــا أنـــت بالليـــل مفتونـــاً، ولا كَلِفـــا

بالنجم، أو بظلام الليـل حـين سرى

وإنـــما أنـــت مفتـــونٌ بعزلتــــه

وبالأمـــان الـــذى تلقـــاه مـــستترا

وبالحبيـــب الـــذى يـــدعوك مرتفعـــاً

في ساحة الليل، أو يـدعوك منحـدرا

إذا شـــدوت فـــما أدري أذو كلـــف

نـاغى الهـوى أم نـذير فاجـأ الخطـرا

---

(١) الكرا ذكر الكروان.

سـيانِ يـا كـرواني القلـب مـستعراً

بالشوق أو بـضرام الخـوف مـستعرا

إن كـان شـدوك أمنـاً فاشـدُ في دعـةٍ

أولا فلا زلت مَذعور السُّرى حذرا!

لمن الفضل؟

كـروان الليـل رتّـل للهـوى	آيـة الحمـد. وحمـد الفِطـن
هـو أغـراك بـشدوٍ وثنـى	لـك سـمع العاشـق المفتـتن
لك إلفٌ منـه تـستوحي. ولي	أنـا إلـفٌ وحيُـه ينطقنـي
أنـتَ لـولا نفحـةٌ مـن حبـه	ساكنٌ عنـدي، وإن لم تـسكن
صامتُ الفن أخا الفـن- وإن	صـدحتْ ألحانـه في أذني
غارَ حِبي منك فاسـمعْ إننـي	عنـه أروي كـلَّ شيءٍ حـسن
وله الفـضل ومنـه الـوحي لا	منـك في كـل مقـال بـيِّن

ألحقنـا المقطوعـات الآتيـة بهـذا البـاب لأنهـا تـشبهه وتتـصل ببعض أبياته:

القمارى العارفة

مـــلأَتْ داري القـــماريُّ غنـــاءً

ويحها! هـل يكـشف الطـير الغطـاء

عرفـــت عنـــدى ربيعـــاً بعـــد مـــا

رهبــت مــن ظلمــة الــدار الــشتاء

عرفتنـــى العـــام أم كانـــت هنـــا

كـــلَّ عـــام تمـــنح الـــدار الـــولاء

لم أكـــن أحفلهـــا حتـــى إذا

صـدح الحـبُّ تـسمعتُ الغنـاء!

ببغاء[1]

ببغـــاءٌ ترنمـــتْ بمـــديح البلابـــل

أيـــن منـــا بلابـــلٌ مـــسرعات المراحـــل

فى ســماوات مـــوطن لـــيس منهـــا بآهـــل

(١) الببغاء تحكى ما تسمع دون أن تعقل، وكذلك يكون الشاعر الذى يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه، فهو فى مصر نادر لا يزورها إلا فى رحلة عاجلة.

بـــــالكراوين عــــــامر والقـــــــهاريِّ حافــــــل

نـــاج مـــا أنـــت ســـامعٌ يـــا أســـير الأوائـــل

اســلُ عــن عاجــل بــذى صـــحبة غـــير عاجـــل

مــــا اشـــتغالٌ بمــــورد لـــــستَ منـــــه بناهــــل

وانـــصراف عـــن الـــذي أنـــت منـــه بـــساحل

أنـــت عنـــدى بـــذا وذا جاهــــــلٌ أي جاهـــــل

ناقـــلٌ لهفـــة الـــصدى (١) أو شــــبيه بناقـــــل

فى الكــــراوين غنيــــةٌ عـــن نـــشيد البلابـــل

والقـــهاريُّ مـــا لهـــا؟ أصـــغ واســـمع، وســـائل

إن تعـــــدَّاك قولهـــــا فـــالتمس وصـــف قائـــل

شدو لا نوح

شــدوُ القــهارىِّ لا نــوح القــهاريِّ؟

هل يعبر الحزن بالشادي الـصباحيِّ؟

أو الربيعــــيِّ فى أنــــس وفي أمــــل

وفي غــرام عــلى الإلفــين مطــويِّ؟

(١) الظمأ.

يـا حـسنها مـن بـشيرات عـلى دعـة

كأنهـا أمنـت فـوت الأمـانيِّ

محبَّبـاتٍ إلى الإنـسان تألفـه

وتعـتلى مـن ذراه كـلَّ علـويِّ

تهـوى الـديار، وفى الآفـاق مطلعهـا،

ما بالها؟ هـل سباها حسن أنسي؟

وللانـاسيِّ حـسنٌ لا أبـوح بـه!

هل تعرف الطير ما حسن الانـاسي؟

غنَّـتْ لزهـر وسلـسال ولـو رشـفت

زهـر المباسـم جُنَّـت بالاغـانيِّ

أوْلى لقُمريِّنـا أن لا يحـوم عـلى

يأس الهوى بين أنسي و "طَيْرِيٍّ"

غـرِّدْ عـلى الـدور يـا قمـريُّ فى دعـة

واسـلم هنالـك مـن بـاك ومبكـيِّ

واتـلُ الرجـاء عـلى هـذا وذاك، ولا

تسألها عـن جـوى في القلـب مخفـيِّ

حسب المغـاني التـي يبكـي الحـزين بهـا

مـن سـلوة، أن فيهـا شـدو قمـريِّ

شفاعة للغراب

حيَّ الغراب الفجرَ بالنعيـب تحيـة التهليـل والترحيـب

وافترَّ نـور الفجـر كالمجيـب في غـير مـا لـوم ولا تثريـب

هاتف ناداه من قريب

***

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيْـي النـور بـاليقين

تحيـة العـصفور والـشاهين؟ ألا تـدين كلهـا بـدين؟

فما له يُعذل كالرقيب ؟!

***

شـفاعة الأنـوار والأحبـاب فى الأسود المهجور في الخـراب

ما الصيَّدح الهاتف بالعجـاب أصدق حبـاً لـك مـن غـراب

فاعذره يا فجر على التشبيب

***

أســـــمعهُ والطـــــير فى أوان　　وقُبلـةَ الـصبح، وقـد ناجـاني

صوت حبيبـى بـاديَ الحنـان　　لـــذلك الموعـــود بالحرمـــان

وما له في الحسن من نصيب!

***

أمنــتُ منــه لوعـــة الفـــراق　　وكـــلَّ غـــاقٍ عنـــده وقـــاق

فـــلا يـــزل يـــنعم بالاشـــفاق　　مـــن الريـــاض الفِـــيح والآفـــاق

ومنك يا فجر، ومن حبيبى

عادات الغراب

بـــئس الغـــراب وإن ذكـــرتُ بـــصوته

عطـــف الحبيـــب عليـــه كـــلَّ صـــباح

أبـــداً يقـــاطع كـــلَّ شـــادٍ حولـــه

كمعطِّـــلي الإنـــشاد في الأفـــراح

فـــإذا شـــدا الكـــروان أتبـــع شـــدوه

بـــصياح شـــؤمٍ منـــه أو بنـــواح

وإذا ترنَّمـــــتْ القـــــماريُّ انـــــبرى

مـــا بـــين تنعـــابٍ وخفـــق جنـــاح

حـــسداً ولؤمـــاً، أو غـــروراً لم يـــزل

دأب الحـــسود وديـــدن الملحـــاح

لا عـــاد فـــرعٌ كـــان ينعـــب فوقـــه

فرمتـــه فـــأس الحاطـــب المحتـــاج

نعب على عشه

هـــدموا دار الغـــراب وابتلـــوه بـــالخرابِ

قطعـــوا الدوحـــة قطعـــاً ورموهـــا فى الـــتراب

ليـت شـعري مَـن هُنـا النـا عـــب يـــا رب النُّعـــاب

لـــستَ بالمـــأمون فاذهـــب غـــير مبكـــيَّ الـــذهاب

أنـــت آذنـــت بخـــوفٍ في هوانـــا وارتيـــاب

لم تـــصن عهـــداً لمـــن حـــا طـــك بـــالعطف العجـــاب

لحبيـــبٍ بـــات يرثـــي لـــك مـــن سـخر الـصحاب

فـــامض في غـــير وداع وأنـــا في غـــير اقـــتراب

وخـــذ الغربـــان طـــرّاً مؤنـــسات فى الركـــاب

مـن ذوات العـش فى النفـــ ـــس وفي هـــذى الرحـــاب

رب شـــك هـــو في الأنفـــ ـــس شر مـــن غـــراب!

سحر الطير

كــل إلــف لــه مــن الطــير إلــف

هكــذا تجمــل الحيــاة وتــصفو

أمــلٌ يرتقــى، وحــبٌ ينــاجي

ولــسان يــشدو، وقلــبٌ يــرف

بـك خـفَّ الجنـاح يـا أيهـا الطـ

ـير، ومـا كنـت بالجناح تخـف

لطــف روح أعــار جنبيــك ريــشاً

فمـن الـروح لا مـن الـريش لطـف

لــيس ينميــك للــسماء جنــاح

بـل غنـاءٌ عـن الـضياءِ يـشف

إن مــضى النــاس يعجبــون قــديماً

كيف تعلـو؟ عجبـتُ كيـف تُـسف

ثقلــةٌ فى الحيــاة لم يــنج طبــعٌ

مــن عراقيلهــا ولم يخــلُ عــرف



غــزل ومناجــاة



ارتجال المنى

منّني أطيب المنى يا حبيبي | فالمنى وحدهن منك نصيبي
أن يَفُتنا مناها لم تفتنا | نظرة من خيالها المرقوب

***

منّني، بل دع المنى يا حبيبي | فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تَعِدنا | وافتقاد الموعود جد صعيب

***

أعطني! أعطنى إذن يا حبيبي | غيرَما ناكث ولا مستجيبِ
أعطنى صفوك ارتجالاً ودعنا | من مطالٍ بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحب لنفس | شبعت من رويَّةِ التجريب

متى[1]

متى يا عيون يعود الضياءُ؟ | متى يا رياض يعود الربيع؟
متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ | متى تقبلين دعاء الشفيع؟

---

(١) إذا سأل الحبيب محبة وهو يودعه: متى يعود إليه؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التى تتردد فى هذه القصيدة.

متى يرجع الغائب المرتَجى   إلى صدر أم براها السقام؟
متى يهبط النوم تحت الدجى   لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

***

متى يطلع النجم للتائهين؟   وقد غرقوا فى ليالى الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟   وقد عاث فيها الخضم الغضوب

***

متى يأذن الجائعون الظما   ء فى الماءِ يطفئُ حر الصدى
وفى الزاد يبقى ذماء الحيا   ة، وفى الخمر يعلو بها مُصعدا

***

متى؟ إي وربك قل لى متى؟!   وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى   ولا من مُلاقٍ له في غد؟!

***

إليك مثال السؤال العجيب   وأنت بأحلى مثال تجود
عشيةَ تبسم عند الودا   ع وتسأل: في أي يوم أعود!

جمال يتجدد

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ | قلتُ: حقاً. وزاد عندى جمالاً
عجباً لي. بل العجيبة عندي | صور الكون كم يسعن كمالاً
خلتُني قد وعيتهن عِياناً | وتتبعت من وَعوها خيالاً
شاعراً عاشقاً وقارئَ كتْبٍ | قرأ الكتب دارساً، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي | صوراً ما طرقن عنديَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحـ | ـب نعد الأكوان والأجيالا

النبض

رأوا فما عرفوا، كلا ولا عجبوا
ولا دروا بالذي أرجو وارتقب
كأنما أنا من أمسي ومن غده
لم يختلف قط لى شجوٌ ولا طرب
في مهجتى أملٌ فاضت بشائره
فما لهم حُجبوا عنه، وما حُجبوا

فلـــو تـــشيم ضـــياء القلـــب أعيـــنهم

لأبصروا فيـه عـين الـشمس تقـترب

كـــالفجر تـــسري عـــلى مهـــل طلائعـــه

أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب

الحمـــــد لله! لا شـــــاموا ولا نظـــــروا

ولا درى جاهـــلٌ مـــنهم ولا أرِبُ

لـــو أبـــصروا الموعـــد الموعـــوق مقتربـــاً

لجفَّلتـــه إذن مـــن لـــؤمهم رِيَـــب

وهـــبَّ للـــشر مـــنهم عـــسكر لجـــبٌ

إن يطلبـــوه لخـــير عـــزَّهم طلـــب

يـــا أيهـــا النـــاس قـــرُّوا فى مـــضاجعكم

إني وحقَّكـــم أســـوانُ مكتئـــب!

أســـوان مكتئـــبٌ لا الحـــسن يفرحنـــي

ولا الحبيـــب لـــه في فرحتـــى أرب

وهاكم النبض جسوه. أعندكم

تحـت الأضـالع قلـبٌ خـافق يثـب

كـــلا وحقكـــم! لا كـــان حقكـــم

إلا اليمين التي يحلـو بهـا الكـذب!!

اليوم الموعود

يـــا يـــوم موعـــدها البعيـــد ألا تـــرى

شـــوقي إليـــك، ومـــا أشـــاق لمغـــنم؟

شـــوقي إليـــك يكـــاد يجـــذب لي غـــداً

من وكـــره، ويكـــاد يطفـــر مـــن دمـــي

أسرعْ بأجنحـــــة الـــــسماء جميعهـــــا

إن لم يطعـــك جنـــاح هـــذي الأنجـــم

ودع الــــشموس تــــسير في داراتهــــا

وتخطَّهـــــا قبـــــل الأوان المـــــبرم

مـــا ضرَّ دهـــــرك إن تقـــدم واحـــدٌ

يـــا يـــوم مـــن جـــيش لديـــه عرمـــرم

***

لي جَنـــةٌ يـــا يـــوم أجمـــع في يـــدي

مـــا شـــئتُ مـــن زهـــر بهـــا متبـــسم

وأذوق مـــن ثمراتهـــا مـــا أشـــتهي

لا تحتمـــى منـــي ولا أنـــا أحتمـــي

وتطـوف مـــن حـــولي نـــوافر عُـضْمها

ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلـــذُّ لى منهـــا الوهـــاد لـــذاذتي

لتـــصعُّدٍ فى نجـــدها وتـــسنُّم

لم آسَ بـــين كرومهـــا وظلالهـــا

إلا عـــلى ثمـــر هنـــاك محـــرَّم

فكـــأَنها هـــي جَنـــة في طيِّهـــا

ركـــنٌ تـــسلل مـــن صـــميم جهـــنم

أبـــداً يـــذكِّرني النعـــيمُ بقربهـــا

حرمـــان مـــزءودٍ [1] وعُـــسرة معـــدم

وأبيـــتُ فى الفـــردوس أنعـــم بـــالمنى

وكـــأنني مـــن حـــسرةٍ لم أنعـــم

***

(١) المزءود المفزع المدفوع.

يـا يـوم موعـدها سـتبلغني المنـى

وتُـتم لي الفـردوس خـير مُـتَمَّم

لا غـصن رابيـة تقـصِّر راحتـي

عنـه، ولا ثمـر يعـز عـلى فمـي

سـأظل أخطـر كالغريـب بجنتـي

حتى أثـوب عـلى قـدومك، فاقـدم؟

فأبيـتُ ثَـم إذا احتـواني أفقهـا

لم انـهَ عـن أمـل ولم أتنـدم

فرحـي بـصبحك حين تـشرق شمـسه

فـرح الـضياء سرى لطـرفٍ مظلـم

***

أمعـيرتي خلـد الـسماء سـماحةً

صـونية عـن وَلـهٍ صـيانةَ مكـرم

رفقـاً بخلـدك أن تـشوبي صـفوه

إن لم تـرىْ رفقـاً بمهجـة مغـرم

ضياء على ضياء

علـى وجنتيـه ضـياء القمـرْ   نظـــيران يـــستبقان النظـــر
جمعـــتهما أنـــا في لثمـــة   أو البـــدر قبَّلـــه فابتـــدر؟
فـــما زال يلحظـــه جهـــرةً   ويغمـــزه مـــن وراء الـــشجر
ويزعمهـــا قبلـــةً مـــن أخ   ففـيم أذن قطفهـا في حـذر؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ   ـــب ولو شئت كللتـه بـالزهر
ولكن كرمـتُ فَخُـذ يـا قمـرْ   من الزاد ما تـشتهي في الـسفر

***

سـها الليـل عنـا وعـن بـدره   وهـز الحبيـب حنـين الـسهر
فقال وقد فاض منـه الـرضى   وسُرَّ بفـــيض رضـــاه وَسر
عـلى مثـل هـذا تطيـب الحيـا   ة، وفى مثل هذا يـروق الـسمر
فقلت أجـل مـا أحـب الحيـا   ة، وأنــت شــفيع لهـا مُـدَّخر
لأجلك يصفو لهـا مـن صـفا   وباسـمك يعـذرها مـن عـذر



شعر وشعر

أمـــن شـــعر؟ نعـــم! شـــعرٌ وشـــعرُ
وخفـــــقٌ في الجـــــوانح لا يقـــــر

فمنـــي الـــوزن فى خفقـــات قلبـــي
ومنـــك الـــوحي والحـــسن الأغـــر

وتـــسألني كأنـــك لـــست تـــدري
ومـــالى غـــير مـــا أوحيـــتَ سر

وأحـــرى بي ســـؤالك عـــن قـــصيدى
فـــما لى فيـــه- بـــل لـــك أنـــت- أمـــر:

أأنظـــــم في غـــــدٍ أم لات نظـــــم
عـــلى مـــا ترتـــضيه ولات نثـــر؟

وعـــــن شـــــفتيك لا شـــــفتيَّ أروي
عـــشيةَ يلتقـــــى ثغـــــر وثغـــــر

فلقنـــــيِّ أجبـــــك ولا تـــــسلني
سؤال الشمس هل سـيلوح فجـر [1]

---

(١) ليس للشمس أن تسألنا: هل يلوح الفجر؟ لأن الفجر يطلع حتى تطلع هى، وكذلك الحبيب لا ينبغى أن يسأل الشاعر: هل ينظم شعراً، لأنه ينظمه بوحيه.

الثوب الأزرق

الأزرق الـــساحر بالـــصفاء

تجربـــةٌ في البحـــر والـــسماء

جرَّبهـــا (مفـــصَّل) الأشـــياء

لتلبـــسيه بعـــدُ في الأزيـــاء

مجـــوَّد الإتقـــان والـــرواء

مـــا ازدان بـــالأنجم والـــضياء

ولا يمحـــض الزَّبَـــد الوضّـــاء

زيَّنتـــه بالطلعـــة الغـــراء

ونـــضرة الخـــدين والـــسيماء

ولمعـــة العينـــين في اســـتحياء

إن فـــاتنى تقبيلـــه فى المـــاء

وفي جمـــال القبـــة الزرقـــاء

فـــلي مـــن الأزرق ذي البهـــاء

يخطـــر فيـــه زينـــة الأَحيـــاءِ

مقبَّـــلٌ مبتـــسم الأَوضـــواءِ

مـــردِّد الأنغـــام والأصـــداءِ

وقبلـــةٌ منـــه عـــلى رضـــاءِ

غنـى عــن الأَجــواءِ والأرجــاءِ

وعــن شــآبيب مــن الــدأماء [1]

وعنــك يــا دنيــا بــلا اســتثناءِ

يــوم

ذهـــب الليـــل ودار الملـــوان [2]

وشـــدا قبــل الــصباح الكـــروان

وتحـــدَّاه الغُـــدافُ [3] الـــذي

تبـــسط الرفـــق عليـــه والحنـــان

ومـــشى الـــصبح عـــلى مهـــلٍ كمـــن

يطـــرق الـــدار عـــلى غـــير أمـــان

(١) الشابيب أول ما يظهر من الحسن. وشدة اندفاع كل شيء والدأماء البحر.

(٢) الليل والنهار.

(٣) الغراب- راجع ما تقدم.

وتلمـــــستُ هنـــــا تغريــــدةً

في فمـــي تـــصدح في هـــذا الأوان

قُبلــــة منــــك هـــي الفجـــر، وفى

طيهـــا تبـــدو ثناياـــاه الحـــسان

عــــن شــــمالى كلــــما ولى دُجـــى

وسرى فجـــر، وحنـــت شـــفتان

وتــــــراءَت نظــــــرة ناعـــــسة

عنـــد أخـــرى، فتلاقـــت نظرتـــان

***

بـــان لـــيلي! لا تـــسلني كيـــف بـــان

أنـــت تـــدري، فـــاغتفر عـــيَّ البيـــان

كلــــما يممـــــتُ داري قلــــتَ لي

أجناحــــان لنــــا أم قـــــدمان؟!

فأتيـــــتُ الـــــدار لا أحـــــسبها

قربـــت قـــط، ودوني خطوتـــان

لم أكـــن أطلبهــــا ويحـــى ولا

أطلـب المهـرب منهـا حيـث كـان

أيـن أمـضي؟ أيـن تحـدوني الخُطـا؟

ضـاقت الـدار، وضـاق المـشرقان

راعنـــى نقـــصٌ بعينـــي ويـــدي

وفمـي الـصادى، وقلبـى، واللـسان

خلتُنــي بُـــدِّلت منهـــا غيرهـــا

ولـــو اســـتبدلها الخطـــب لهـــان

أهزيـــعٌ منـــك يـــا ليـــل مـــضى؟

أمـضى نـصف؟ أمـا ينـشطران؟

بـان لـيلي! لا تـسلني كيـف بـان

حاطـك الله مـن الليـل وصـان

إى وربي بـــان لكـــن بعـــد مـــا

نفـدت سـاعات عمـرى فى ثـمان

لا زمـــانٌ حيـــنما لاقيتنـــي

فـإذا فـارقتني كـان الزمـان

***

طلـــع الـــصبح حزينـــاً عـــاطلاً

أتُـــراه كـــان بـــالقرب يُـــزان

وسرتْ أنفاســـه يـــا حـــسرتا!

أيـن أنفاسـك يـا زيـن الحـسان؟

نـــسمات الـــصبح أورت[1] كبـــدى

فحجبـت الأنـف عنهـا والعيـان

وتمـــشّيت إلى كتبـــى عـــلى

مـــضض منـــي، وللكتـــب أوان

يـــا أبـــا الطيـــب لا تهـــرف ويـــا

صاحبى الرومىَّ مـا هـذا الرطـان؟!

شـــعراء الـــشرق والغـــرب أمـــا

تملكـون الـصمت يومـاً فى عنـان؟!

أو فهـــاتوا الـــشعر لى صرفـــاً بـــلا

أحـرف في الطـرس منـه أو معـان

---

(١) أورى الزند اخرج ناره.

أفرغـــــوه جملـــــةً فى خـــــاطرى

لـيس لى بـالطرس والـدرس يـدان

رُبَّ شـــعر شـــاقني لمَّـــا تكـــذ

شــــفتا قائلــــه تتفرجــــان

***

وتجـــلى البـــاب لى عـــن زائـــر

مـــن اودَّائـــي كأنَّـــا اخـــوان

فتعلَّمـــــتُ ولبـــــى شـــــارد

كيف يُكسى الـود ثـوب الـشنآن (١)

قـــال لى: (الأفـــق جميـــلٌ) قلـــت لا

بـل دمـيم. قـال زاهٍ. قلـت قـان!

قـــال زيـــدٌ. قلـــت حاشـــا. فـــانثنى

نحو عمرو. قلـت كـلا. بـل فـلان!

فمـــضى يعجـــب منـــي ســـائلاً؟

أسـلام؟ قلـت بـل حـرب عـوان

(١) البغض.

ذهـــب اليــــوم ومــــا أحلكــــه

كـــان مــــن يــــوم نــــاه النَّـــيِّران

لم يكـــــن فى صـــــبحه أو ليلـــــه

حـــظ عـــين، أو لـــسان، أو جنـــان

ذاك يـــــومٌ يــــا حبيبـــــى واحـــــدٌ

وغـــدٌ منـــه غنـــيٌ عـــن بيـــان

الحب المثال

كـــأنيَ مثَّـــال وحـــــسنك تمثـــالى

عجائبُ حـب مـا خطـرن عـلى بـال

فـــما أتمنـــى فيـــك معنـــى أريـــده

من الحـسن إلا وافـق الحـسنُ آمـالى

وأحـــلام قلـــبٍ فيـــك تـــسري كأنهـــا

خوالق أيدي الفن في الـذهب الغـالى

تجـــول بأشـــكال الخيـــال وتنثنـــي

وقد اسـعدك منـك العيـان بأشـكال

إذا مــا تمــشَّت فيــك معنــىً لمــستُها

محاســنَ أعطــاف ورقــة أوصــال

إذا اقترحـــتْ عينـــي فأنـــت مجيبهـــا

فهـل منـك أو منـى صـياغة تمثـالى؟

ومــا اقترحــت إلا كــما اقــترح المنــى

غنيٌ علي وفـر مـن الوقـت والمـال [1]

فـما فيـك مـن نقـص ولكـنَّما الهـوى

نـوازعُ شـتى لا تقـر عـلى حـال

فيــا قــدرة الحــب المبــارك أبــدعي

لكل حبيـب فى الـصبا ألـف سربـال

واجملُ مـن صـوغ الـدُّمى صـوغ دميـةٍ

لهـا زينتاهـا مـن حيـاةٍ وإقبـال

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمني الأمانى التى لا حاجة به إليها. وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل في الإنسان.

ساعى البريد

هـــل ثَـــم مـــن جديـــد يـــا ســـاعي البريـــد

***

لـــو لم يكـــن خطـــابى في ذلـــك الوطـــاب
لم تطـــو كـــلَّ بـــاب يـــا ســـاعي البريـــد

***

مـــا ذلـــك التنـــسيق والجمـــع والتفريـــق
والقفـــز والتعويـــق يـــا ســـاعى البريـــد!؟

***

كـــسوتك الـــصفراء والخطـــوة العرجـــاء
يمـــشى بهـــا الرجـــاء يـــا محنـــة الجليـــد

***

لـــو لم تكـــن جمـــالاً فى مِـــشية العجـــالى
صـــغنا لـــك التمثـــالا مـــن جـــوهر فريـــد

***

لا أحـــــسب الـــساعات   فى حـــــــــــاضر وآت
إلا عـــــلى الميقـــات: ميقاتــــــك الوئيــــــد

***

في شرفتــــى ابتكــــر   غـــــيرك لا انتظـــــر
وإن ســــعى لي القمــــر   يـــــا ســــاعي البريـــــد

***

كـــم لهفـــة نـــسيتها   أمـــــاتنى مميتهـــــا
لقيتهـــــا ! لقيتهـــــا   يـــــا ســــاعي البريـــــد

***

جـــددتَ لى انتظـــاري   وقلــــة اصـــــطباري
عـــن طلعـــة القطـــار   وطلعـــــه النـــــضيد

***

أكـــرمْ بـــه مـــن ثمـــر   منتظـــــرٍ مـــــدخر
في كـــل يـــوم مزهـــر   مبتــــدىءٍ معيــــد

***

يـــا طائفـــاً بالـــدور كالقـــدر المقـــدور
بـــالخير والثبـــور في ســـاعة البريـــد

***

في لمحـــة تنتـــشر منـــك المنـــى والعـــبر
وأنـــت مـــاض تعـــبر كالكوكـــب البعيـــد

عجب الساعي

عجـب (الساعي) الـذي كنـتُ لـه
أبـداً في شرفتـي منتظـرا
إنَّ مـن تُحـضر لي أخبـاره
أيهـا الـساعي بخـير. حـضرا
ألـقِ إن شـئت وطابـاً حـافلاً
لا أبـالي لحظـةً إن صـفِرا
الطريـق الآن لا أرقبـه
لأرى وجهـك. لكـن لأرى ...

ولــــك الـــشكر، ولي العـــذر، فـــلا

تظهـــر الآن. فهـــا قـــد ظهـــرا

لا تـــــذكّرني نـــــواه بعـــــد مـــــا

كنـــت تـــروى عنـــه ذكـــراً عطـــرا



الليلة الفطيم

بكـــت الليلـــة الفطـــيم شـــجاها

مـــا بكـــاءُ الفطـــيم بـــين الثـــدِيِّ

الثـــديُّ الحـــسان تبغـــي رضـــاها

مـــا لثغـــر الفطـــيم غـــير رضيٍّ؟

لـــو أرادت لكـــان عنـــد مناهـــا

كـــل صـــدر، وكـــل نهـــد شـــهيٍّ

أمهـــا! أمهـــا! ولـــيس ســـواها

ذات صـــدر عـــلى الـــشفاه نـــديٍّ

***

ليلتـــي. ليلتـــي الحزينـــة صـــبراً

لـــيس هـــذا الفطـــام بالأبـــديّ

ســـوف تُـــروين مـــن أُمَيمـــك ثغـــراً

فارضـعي الآن مـن دمـوع الـشجي

واذرفي هـــذه المـــدامع غـــزرا ....

هـل يـضير البكـاء عـينَ الـصبي؟

مـــن أذاب الـــشقاءُ عينيـــه شـــهراً

فى ارتقـاب النعـيم غـير شـقي

قبلة بغير تقبيل

بعـــد شـــهر - أنلتقـــي بعـــد شـــهر،

بـين جـيش مـن النـواظر مَجـر؟ [1]

لم يحولـــوا - وحقهـــم - بـــين روحيـــ

ـــنا، وإن ألزموهمـــا طـــول صـــبر

(١) الجيش المجر العظيم .

تمـــت القبلـــة التـــى نـــشتهيها

كلهـــا، غـــير ضـــم ثغـــر لثغـــر

تـــم منهـــا شـــوق، ورفٌّ شـــفاه

وهـــوى نيـــةٍ، وخفقـــة صـــدر



الحلم السالب

ســبق الكـــرى يـــومَ اللقـــاء فنلتـــه

في غفـوة تغفـى العيـون لكـي تـرى

حلـمٌ عـلى اليقظـات جـار فليتـه

في جـــوره أبـــداً يعـــود مكـــررا

لم يظلـــم اليقظـــات فهـــى إذا وفـــت

بلقائـه، سـلبته مـن حلـم الكـرى

مـــا وعـــده إلا ســـعادة حـــالم

فـــالنوم كـــان بـــه أحـــق وأجـــدرا

والحلم المنتقم

لمــــا تملَّيــــتُ فى الرؤيـــا محاســـنه

هتفـــت لليـــل والظلـــماء والحلـــم

هــذا انتقــام الكــرى مــن بــطءِ موعــده

وللكـــرى ربـــةٌ مـــشكورة الـــنِّقم

يغــار مــن طيفــه الــساري فيمطلنـــي

كـــأَنها قـــال لى بالمطـــل لا تـــنم

فى البعد والقرب

لــن يطيــب البعــد يومــاً لــن يطيبــا

هــنْ عــليَّ اليــوم إن كنــت حبيبــا

لا تكـــن نـــاراً مـــن الـــشوق ولا

دمعـــةً حـــرى، ولا قلبـــاً كئيبـــا

لا تكـــن صـــحراء في البعـــد وقـــد

كنــت لى فى القــرب بــستاناً رطيبــا

إن تغـــب شمـــساً فـــأوص النـــوم بي

قبـــل أن تعـــرض عنـــي أو تغيبـــا

***

يـــا حبيبـــي- بـــل فكـــن مـــا كنـــت لى

صـــانك الله بعيـــداً وقريبـــا

واجعـــل الأنـــس نـــصيبي فـــإذا

غبـت عنـي فاجعـل الـسهد نـصيبا

كـــن نعـــيماً وعـــذاباً، ومُنـــى

تمـــلأ الـــنفس، وحرمانـــاً مـــذيبا

هكـــذا الحـــب دواليْـــك فمـــن

لم يكنـــه، لم يكـــن قـــط حبيبـــا

قـــراءة

عـلى كتفـي تمـشي بعينيـك في الطـرس

عجولاً إلى شعري حريصاً على لمسي

كأنـك لم تحمـد مـدى الـصوت وحـده

فـسابقته بـالعين حينـاً وبـالحس

وعـانقتني تـستوعب الـشعر حيـثما

سرى في ثنيَّـات الجـوانح والـنفس

هنـاك أدري أن للـشعر مجلـساً

إلى جانب العرش السماوي والكرسي

تسلم

تـسلم هـذه الـدنيا	كـما خلَّقتهـا عنـدى
وحاسـبها عـلى قـربٍ	بـما تجنـي عـلى البعـد

***

تـسلم هـذه الـشمـ	ـس التـي تـؤنس أو تهـدى
لقـد كانـت هـداها اللـ	ـه مكـسالاً مـن المهـد
تجـوب الأفـق في جهـد	ومـا تـسرع بالجهـد
وكانـت تحجـب الأنـو	ار أو تُبـدى فـلا تجـدي

وكانـــت شـــعلة حـــرَّى   مـــن اللوعـــة والوجـــد

***

تـــسلَّم هـــذه الأطيـــا   ر واســـألها عـــن العهـــد

تُغَنَّـــــي الآن فاســـــألها   أغنَّـــت قـــط لي وحـــدي؟

وإن غنَّـــت فهـــل كـــا   ن ســـوى نـــوح لهـــا مُعْـــد

وانْ أعـــدَت فهـــل تُعـــدى   بغـــير الـــشجو والـــسهد؟

نعـــم سلـــها جزاهـــا اللـــ   ـــه: أيـــن تحيـــة الـــورد

وأيـــن تحيـــة الإلـــف   وأيـــن تحيـــة الفـــرد

لقـــد كانـــت لحاهـــا اللـــ   ـــه تطويهـــا عـــلى عمـــد

فـــسلها فـــيم تطويهـــا   وفـــيم تـــضن أو تـــسدي

***

تـــسلَّم أنجـــم الليـــل   بـــلا عـــدٍ ولا حـــد

تـــسلمها وكاشـــفها   بـــها تخفـــي ومـــا تبـــدي

وســـلها كيـــف ضـــلَّتني   ومـــا ضـــلت عـــن القـــصد

وفـــيم تغـــامزٌ منهـــا   إذا حـــيَّرني قيـــدى

نعـــم قيـــدى الـــذى في النـــ   ـــفس لا فى صـــفحة الجلـــد

أهـــزلاً تهمـــس الأنجـــ ـــم أم تهمـــس عـــن جـــد!؟

***

تــــسلَّم زهـــرك المحبـــو ب في الـــسهل وفي النجـــد
تـــراه ضــــاحك العـــين تـــــراه نــــاضر الخـــد
فــسله مـــا عـــراه أمــــ ـــس حتـــى لاذ بالرشـــد
فـــلا يلهـــو ولا يُـــوصى بغـــير الهـــم والزهـــد
فـــما عـــن لومـــه في ذا ك يـــا مـــولاه مـــن بـــد!

***

تـــــسلَّم هــــذه الـــدنيا كـــما خلَّفتهـــا عنـــدى
بحمـــــد الله تلقاهـــــا كـــما تلقـــاك بالحمـــد
فخـــذها راضـــياً عنهـــا وعنـــي وعـــن الـــود
وعلمهـــا إذا مـــا عـــدت - لا عـــدتَ إلى البعـــد
أمانـــاً فى مغيـــب منــــ ـــك أو في محـــضَر رغـــد
فـــما تـــسمع لى قـــولاً إذا ناجيتهـــا وحـــدي!

الفنجان

أتــؤمن بالفنجــان! لا يــا صـــديقتي

بثغــرك لا الفنجــان أصــدق إيــماني

إذا هـــو أعطـــاني الــــسعادة فلـــتكن

نبوءتها في الكاس أو سؤر [1] فنجـان

وإن يكـــن المغـــزى هنـــاك خرافـــةً

فثغــرك صـــدق في ابتــسام وتبيـــان

وفي كـــوثريٍّ مـــن رضـــاب معطـــر

وفي جـــوهريٍّ مـــن ثنايـــاه فتَّـــان

قربَى

تقـــــرَّبي لله بالــــــدعاء وأنت قُربَـى الأرض والـسماء

لـيس مكـان فى الـسماءِ كلهـا عـن شـاعر أو عاشـق بنـاء

ربَّ صـلاة علمـت مُـصّلياً إجابـة الـصلاة والرجـاء

ورفعت من طينـة الأرض إلى عـرش الـضياء سّـلَم ارتقـاء

(١) السؤر ما يبقى فى الإناء.

كأس وضوء

هنا- ويا حسن ما ضمت هنا- قدحٌ

تُغوى قلوب العطاشى أيَّ إغواء

في كل قطرة ماءٍ ههنا أثرٌ

من قالب الحسن في روح وأعضاء

مرَّت بقدك تحكيه، وربّما

حكى الوضوء جمال الروح فى الماء

فلو تعود كما لامستها رسمتْ

مثالك المقتدى فى مهجة الرائي

تطهرْت بك لما أن طهرت بها

عند المصلَّى، وزادت حسن إيماء

وصافحت منك تقوى الروح فى جسد

يغزو التقاة بأشواق وأهواء

هذى خلاصةُ إنسان مقدسة

ليست خلاصة أعناب وصهباء

أمخطـئٌ أنـا إن أحسست في كبدي
شـوقين مـن نـشوة فيهـا وإرواء
فكـم أغالـب مـن إغـراء سـكرتها
مـا لا يغالبـه ظمـآن صـحراء
تنـازع الـدين والغـي الهيـامَ بهـا
وقرّبـتْ بـين إسـعاد وإشـقاء
فليـت شـاربها يـدري أحـصته
عنـد الخـضيراء أم عنـد الحمـيراء [1]
خـوفي - ويـا طـول خـوفي - إن تمزقنـي
كلتاهمـا يـوم إحيـائي وإحـصائي!

رقية السهر

تجلـت آيـة الكرسـيِّ، مـا أعـلاه كرسـياً
اظـلّ سـباتها عينـيَّ حـين لمـست عينيـاً

(١) الخضيراء كناية عن الجنة الخضراء والحميراء كناية عن جهنم الحمراء.

أتــــرقبن مــــن الـــسهـ ـــد ومــا أبغــي لــه رقيــا؟

سروراً بــك هجــراني الــــ ـــكرى المحبــوب والرؤيــا

دعــي الرقيــة للــسهد الــذ ي يدعونـــــــه نأيــــــا

وللنــــوم الــــذى القــــا ك فيــــه حــــين لا لقيــــا

المنديل

تعاشــــق لحمـــــةٌ[1] وســـــدى

ورفـــــرف خافقـــــاً غــــردا

وآخـــــتْ طّرتـــــاه[2] يـــــدا

عــــلى عهــــد الهــــوى ويــــدا

وقَبــــل النــــسج كــــم ســــاغ الــــ

الــــصفاء ســــحابةٌ ونــــدى

ونــــاغى الطــــيرُ صــــاحبَه

عــــلى شــــجراته، وشــــدا

(١) لحمة الثوب ما نسج عرضاً وسداه ما امتد من خيوطه.

(٢) الطرة طرف كل شئ وحرفه.

وعاشــــت فى الـــــرضى شــــجرا

تــــه مخـــــــضرةً أبـــــداً

فيـــــا منــــــديل لا تـــــبرح

بعهــــــد الحــــب منعقــــدا

عريــــــقٌ أنـــــت يـــــا منـــــد

يـــل روحـــــاً فيـــه أو جــــسداً

إذا صــــــــنت الوديعـــــــة لي

فـــــلا بــــــدعاً ولا فنـــــدا

وإن تحفــــــــــظْ أمانتهـــــــــا

حفظتــــــك أنـــــت مجتهـــــدا

ســنـــــسأل عــــن شــــذاك غــــدا

وبعـــــد غـــــد، وإن بعــــدا

فــــــصنْ سرَّ الـــــسؤال لنـــــا

ولا تُخــــــبر بــــــه أحــــــدا

***

مـــن الكتـــان يـــا نـــسا
ج، فانـــسج كـــلَّ مـــا خلـــدا

وعَـــــى خلـــــد الفراعـــــــ
ـــين، وزان عروشـــهم أمـــدا

ومـــن يـــرضَ الحريـــرَ بـــه
بـــديلا ســـاء مـــا اعتقـــدا

فـــماذا تنـــسج الديـــدا
ن مـــن ذكـــرى لمـــن ســـعدا

ومـــا الديـــدان والـــذكرى؟
ومـــن ذكَـــر اســـمها جمـــدا [1] !

هـــو الكتـــان يـــا نـــسا
ج، فانـــسج منـــه منفـــردا

***

(١) الحرير من نسج الديدان وهى تذكر الإنسان بالموت والقبر فيجمد من يذكرها خلافاً لمن يذكر الكتان فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة.

يـــــوم كــــــان للمنــــــد

يـــل قُــــدِّس لُحمــــةً وســــدى

وقُــــــدِّس قبلــــه مَــــن أنــــــ

ـــبت الكتــــان أو حــــصدا

وقُــــــدس مثلــــه مــــن قــــا

م عنـــــد النَّــــول أو قعــــدا

وقُــــدِّس كـــــل مــــن نــــادى

بــــه في الــــسوق، أو شــــهدا

حلم اليقظة

أيــن مــضى الحلــم الــذي — كنــــــت أراه ههنـــــــا

إذا صــــحوت والتفــــــ — ــــت عــن شــالي مَوْهنــا [1]

كنــتُ إذا مــا قطَّعــتْ — نــومَى صــحواتُ الــسهرْ

غبطــتُ عينــيَّ وأغــضيـ — ــت عــن النّــوم النظــر

***

(١) الوهن والموهن من الليل بعد منتصفه أو بعد ساعة منه.

وكـــان عنـــدي حلــماً في يقظـــة الليـــل المديـــد
أســـمعُ مـــن أنفاســـه نـــسمةَ فـــردوس بعيـــد

***

أســـعدَ ممـــا في الكـــرى مـــن راحـــة ومـــن أمـــل
ومـــن خيـــالٍ لا يحـــدُّ ومعـــــان لا تُمـــــل

***

فـــالآن أبـــشر يـــا كـــرى! كـــل جفـــوني الآن لـــك
حتـــى أعـــود فـــأرى في جـــانبى ذاك الملـــكْ

ليلة

بينـــي وبينـــك ليلـــةٌ يـــا ليلـــة القـــرب الأمـــينْ
يـــا حبـــذا لـــو تـــسرعـ ـــين، وحبـــذا لـــو تطفـــرين
وإذا أتيـــــت فحبـــــذا لـــــو تلبثـــين فتخلـــدين

عروس الليالى

عـروس الليـالى تهـبط اليـوم مـن عَـلِ

وتـدنو عـلى طـول النـوى والتـدلل

سَرَت بـين شرقٍ مـن ضـياءٍ ومغـربٍ

وبـين جنـوبٍ مـن ضـياءٍ وشـمأَل

كـأني أراهـا مـن دُهـور بعيـدة

لطـول اشـتياقي وجهَهـا وتـأملي

فيـا ليلـة القـدر المؤمَّـل أقـبلي!

تعـاليْ اقَبِّـلْ منـك كـلَّ مقبَّـل

خـذى لـك جثمانـاً يـضُّمك عاشـقٌ

قليـلٌ لديـه صـورة المتخيّـل

وتيهـي بوجـه مـن صـباحكُ مُـشرقٍ

ومِـيلي بفـرع مـن مـسائك مُـسبل

سـأبديك شـعراً يمـلأ الـسمع شـدوه

إذا ضـنَّت الـدنيا بجـسم ممثَّـل

ثرثارة

أراك ثرثـــــارة في غـــــير ســـــابقةٍ

فهات مـا شـئت قـالاً منـك أو قِـيلا

مــا أحــسن اللغــو مــن ثغــر نقبلــه

إن زاد لغـــواً لنـــا زدنـــاه تقبـــيلا

ثروة النصيب

منيتنــــــي بـــــالثروة الجلـــــل

وبنيـــت لي داراً عـــلى عجـــل

وإذا (النــصيب) أصـــابني احتفلـــت

داري بحـــسنك كـــل محتفَـــل

حـــسبى إذا عـــز البنـــاء غـــدا

في ســـاحة بالـــسهل والجبـــل

دور تؤســــــــها وتعمرهـــــــا

في ســاحــتين: الــحــب والأمــل

قرنفلك

قرنفلك الذى يَحكيك حسناً — أتعلم أنه يَحكيك سمتاً[1]

تعدد لونه فتجنبوه — على حذر، ولم تحذره انتا

له عطرٌ شبيه هواك فرد — وألوان من الإحساس شتَّى

النجوم السواغب

أرى أعيناً قد وصوصتْ فى سمائها

أتلك النجوم الناظرات سواغب؟

موائد حب تشتهيها ودونها

مصاعب لا تجتازها وغياهب

نعمت بها فى ليلتي، وهى فوقنا

تمدُّ لها ألحاظها وتراقب

ومسكينةٌ هذى الكواكب في الدجى

ومسكينةٌ تلك الورود الشواحب

(١) السمت الطريق، وهيئة أهل الخير.

فهاك خـذي مـن سـؤر مـا أنـا شـاربٌ

ثمالــة كــأسي كلهــا يــا كواكـــب

وخــذ يــا نــسيم الليــل عــشرين قبلــةً

وخذ مثلها يـا روض إنـك غاضـب

غنـــيٌّ أنـــا بالحـــب، عـــاش الـــذي بـــه

غنيــت، وإنــى إن غنيــت لواهـــب!

النيل الغاضب

أساهمٌ[1] يا نيل؟ لـست أدرى! أم ناقم يـا نيـل طـولَ هجـري

فـربَّ شـهر مـرَّ بعـد شـهر وعـام سـوء بعـد عـام شر

ولا بشفع زرت أو بوتر

***

لاقيتنـــى يـــا نيـــل والحبيبـــا كــما تلاقـــى طارقـــاً غريبـــا

وزدتنـــا كيـــداً لنـــا مريبـــا، أغريـــت يـــا نيـــل بنـــا الرقيبـــا

يكاد يحصي سره وسري

***

(١) سهم وجهه عبس وتغير.

وكيف يا نيل إليك حجى ولم أكن أخاف أو أرجّي

بل كيف يهديني إليك نهجى وقد هوى نجمي وضل برجي

وعزَّ قرباني ولاح عذري

***

ذاك الذي كنتَ معى تراه غيري إليك ربما دعاه

فقد هداني كاهن سواه إليك يرعاني كما أرعاه

بعد ضلال فى الهوى وخسر

***

يا نيل أما الآن فالمزار عندي له المنسك [1] والشعار

فلا يغيب فى الدجى نهار أو ينجلي عن بدرنا السرار

ألا سرينا لك حين يسري

***

يا نيل فاشغل حولنا العيونا إذا وردناك مسبّحينا

تلك عيون تكره السكونا ومن يحبون ويسعدونا

لا رضيتْ عني ولا عن بدري

***

(١) مناسك الحج عباداته، وشعائره علاماته ومناسكه أيضاً.

نجوى النجوم

بحسبى الأنجم الزُّهر فلا شمسٌ ولا بدر
ترينا عزلة النجوى ففيها للهوى سر
وفي لمحتها همسٌ كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ بأحفادٍ له سُرُّوا:
خذوا الدنيا خذوا الدنيا وغروا العيش واغتروا
دريت الحكمة الكبرى فادراكم هو الغر

***

بحسبي الأنجم الزهر فلا صبحٌ ولا فجر
سواحر تنبىء الأحبا ب، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشمـ ـس أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرت حبيبي، ولها الفخر!

كلماتي

كلـــــــماتي! كلـــــــماتي! صـــــدق الوعـــــد فهـــــاتي
هـــل معينـــي وحيـــك الـــصا دق أو وحـــــي اللغـــــات؟
أنــــا اســــتأديك[1] مـــا لم تبلغيـــــــــــه بـــــــــأداة
مـــــن معـــــان تتعـــــالى عـــــن لــــسان ولهـــــاة[2]
فاســـألي الأربـــاب عـــن تلـــــــك المعـــــاني الخالــــدات
أو سلي الصمت فكـــم صمـــــتٍ لـــــه علــــم ثقـــات
ينتهـــــي شـــــأو الأحـــــاد يـــــثُ إليـــــه والـــــرواة
وبـــــــه لاذ هـــــــــداةٌ عرفـــــوا وحـــــى النجـــــاة

***

انظـــــري يــــا كلـــماتي وأصـــــــيخي في أنـــــــاة
مـــا ضـــياءٌ ثَـــم في الأفـــــق، وفي كـــل الجهـــات
لا مــــن الأرض ولا مــــن دارة الأفـــــــــــلاك آت
لا تـــــراه غـــــير عينـــــي وهـــــو مـــــلء الكائنـــــات

---

(١) استأداه الشيء طلب منه أداءه.

(٢) اللهاة لحمة مشرفة على الحلق.

هــل يــرى الــدنيا امــرؤ لم يـــرد منــــه قبـــسات؟
كلـــــماتي أنـــــت في وا د مـــن التيـــه شـــتات [1]
اســـألى الأربــــاب عنـــه أو ســـلى الـــصمت وهـــاتي

***

كلـــــماتي مــــا تقولـــــ ــــين اذن يــــا كلـــماتي
مــــا نعـــيمٌ يمـــنح الكـــ ــــف غـــذاء المهجـــات
تقـــصر الألبــــاب عنـــه وهـــو بعـــض اللمـــسات
فى يــدي أدعـــوه خـــصراً تــــــارةً أو زهــــــرات
في فمـــي أدعـــوه ثغـــراً تـــــارة أو قـــــبلات
وفـؤادي؟ مـا اسـم مـا فيــ ــــه اذن يــــا كلـــماتي
اســـألى الأربــــاب عنـــه أو ســـلي الـــصمت وهـــاتى

***

نـــشوات تلـــك؟ لا بـــل تلـــك فـــوق النـــشوات
يقظـــات تلـــك؟ لا بـــل تلـــك غـــير اليقظـــات

---

(١) الشتات المتفرق.

بلغـــت منهـــا مـــداها وارتقـــــت مرتفعـــات

تـــسلس اليقظـــة للوصــــ ـــــف وتـــصغي وتـــؤاتي

فـــإذا جـــازت مـــداها لزمـــت صـــمت الـــسبات

كلـــماتي! مـــا تقولــــ ـــــين إذن يـــا كلـــماتي

أســـالى الأربـــاب عنهـــا أو ســـلى الـــصمت وهـــاتي

***

لحظـــة تمــــنح قلبــــي كـــل هاتيـــك الهبـــات؟

لحظـــة ترفـــع عمــــري حقبـــــاً متــــــصلات؟

ربَّ عمـــر طـــال بالرفـــ ـــــعة لا بالـــــسنوات

لحظـــة؟ لا بـــل خلـــود لاح بـــــين اللحظـــــات

كالـــــسماوات تراهـــــا مـــن شـــباك الحلقـــات

ربَّ آبـــــاد تجلّـــــتْ مـــن كـــوى[1] مختلفـــات

وقُطـــــيرات زمـــــان مـــلأت كـــأْس حيـــاة

وإذا مـــا طغـــت الكـــأْ س فقـــل في الـــسكرات!

(١) جمع كوة وهى فتحة فى الحائط.

سـكرة تُغـشى وأخـرى تغـتلي بالـصحوات
هكـذا بتنـا رفيقـ ـين لزيَمْـى لـثمات
غائـبٌ غـافٍ، وصـاح لخفيـف الهمـسات
كلـماتي. مـا تقوليـ ـن إذن يـا كلـماتي
اسـألي الأربـاب عنـا أو سـلي الـصمت وهـاتي

***

أيـن أمـلاكٌ عـلى أبراجهـا المطلعـات
تـصقل الآفـاق في الليـ ـل وتجلـو النـيّرات
لا أرى الـدنيا عـلى نـو ر الليـالي الغـابرات
أيـن؟ لا بـل نـدع الدنيـ ـا وراء الحجـرات
نورنـا الليلـة مـصبا ح وليـد اللمحـات
غـض جفنيـه حيـاءً مـع غـضيض النظـرات
شـفقياً أو فقـل إن شـئت فجـريّ الـسِّمات
عـسجداً بـارك حـسناً عـسجديَّ البركـات
سـبحتْ عينـى ونفـسي ويـدى في غمـرات
في كنـوز مـنها أيٍّ كنـوز مغنيـات

ثروة أنفق منها ... لحياتي ومماتي

ولبعثي يوم أن تُبعـ ... ـث في الطرس وُصاتي

كلماتي! ما أراك اليـ ... ـوم إلا خاذلاتي

عنك أغنتني كنوزي ... وكنوزي ملهماتي

***

سمعتني كلماتي ... واستعادت دعواتي

ثم قالت في حياءٍ ... كالعذارى الخفرات

باح لى الصمت ولكن ... فاتني أيَّ فوات

قال ساموك عسيراً ... في التمني يا بناتي

ارجعي، ثم أعيدي، ... ثم عودي صاغيات

مرة أو عشرات ... وإذا أسطعت مئات

ما بدرس واحد تُو ... فين هاتيك الصفات

هكذا يا شاعري ألـ ... ـهمني الصمت فهات

هاتها وافرح باحسـ ... ـاني وراقب حسناتي

لا يبوح الصمت إلا ... درجاتٍ درجاتِ

***

كلــماتي! صـــدق الـــصمــ ـــــت. أجــل يــا كلـــماتي

غـــــير أني لا أعيــــــد الأَ مـــــس إلا بـــــــصلاة

مرجــع الأمــر لمــن ضمــــ ـــــت رجـــائي وشــكاتى

يملــك العــودة مــن أحيــا مــــن الأرض المـــــوات

فــابعثي الــصمت إليهــا فى خــــــشوع وتقـــــاة

ربـــــما أعطـــــتْ وإن لم تــــسألى يــــا كلـــماتي

يوم يبحث عن ذكراه

يومٌ بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه فإذا اليوم الذى خطر لنا فيه هذا الخاطر هو يـوم الـذكرى بعينـه، فكانـت مـصادفة فمـن أعجـب المصادفات:

لم يطـوه الـزمن المـاضي ولا احتجبـت

في ذمــة العـــام بعــد العـــام ســيماه

خلنـــاه في الغيــــب منــــسياً فـــذكَّرنا

بنفــــسه اليـــومُ في إلهــام نجـــواه

قمنـــا لنبحـــث عنـــه في صـــحائفنا

فكـــان مـــيلاده ميعـــاد ذكـــراه

يـــا يـــومَ أول لقيـــا بيننـــا عرضـــت

ثـــم انطـــوى عهـــدها حتـــى بعثنـــاه

نعـــم بعثنـــاه فى حـــب إذا ذهبـــت

مزيـــة العمـــر لم تـــذهب مزايـــاه

مبـــاركٌ يـــومُ عيـــد في عواقبـــه

لم يـــسهُ عنـــا ومـــا كنـــا لننـــساه

لمـــا بحثنـــا لنلقـــاه ونـــذكره

إذا بـــه باحثـــاً عنـــا لنلقـــاه!

سرٌ مـــن الله فى روحـــين مـــا برحـــا

مـــن قبـــل لقياهمـــا يرعاهمـــا الله

هبوط النفس

إذا هبطـــت نفـــسي فلـــم تبلـــغ الـــذُّرى

من الحب فارفعها، وكن أنت عـاذرا

فللحـــب أوجٌ في العـــلا قلـــما ارتقـــى

بنـــو الأرض إلا مُرتقـــى منـــه نـــادراً

وددت لــــــو أني لا أفـــــارق أوْجَــــــهُ

ولا استوي فى الأرض، لو كنت قـادراً

ولكنهـــا حـــربٌ مـــع الـــدهر لم يـــزلْ

بهـــا القلـــب مقهـــوراً هنـــاك وقـــاهرا

فـــلا تحـــسب القلـــب المـــشرَّد غاضـــباً

ولا عاتبـــاً، واحـــسبه اســـوان حـــائرا

وإن تـــكُ يومـــاً في الـــصعود مـــؤازري

أكـــن لـــك يومـــاً في الـــصعود مـــؤازرا

ولـــست عـــلى مثـــواي في الأرض نادمـــاً

إذا كنتَ لي نجـــماً عـــلى الأفـــق ســـافرا

سحر السراب

هـــذا سرابـــك جنـــةٌ تُغـــرى   يـــا فـــاتنى بـــالقرب والـــذكر

صحراء بُعدك ما خلت أبـداً   مـــن كـــوثر في أفقهـــا يجـــري

لكنــه يغــري ولــيس بــه ريٌّ، وعنــدك لجــة النهــر

وإذا الـسراب خَلـتْ كـواثره من مائهـا لم تخـل مـن سـحر

فافتن بذاك وذاك يـصفُ لنـا أمـن المقـيم، ولهفـة الـسَّفْر [1]

عالمنا

فيـا لحـب والـشعر والإخـلاص عالمنـا

دعنـا مـن العـالم الموبـوء بالـدنس

إذا نظــرت حوالينــا فلــستَ تــرى

إلا الــسماوات في مــرأى ومُلْــتَمس

هجو

هجوتـك في بيتـين جهـدي فـلا تخـف

وسـلني، فـإني قائـلٌ لـك بيتـين:

(١) السفر المسافرون. والمعنى: إن فى البعد سحراً كسحر السراب الذى يفتن بالشوق والأمل ولكنه لا يروى، وإن للقرب فتنة الري ولكنه لا لهفة فيه. ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة ولذة السفر.

أقـــول رعـــاك الله إنـــك محنـــةٌ

وطول عناء حين تغـرب عـن عينـي

وقلـــتُ ومـــا أتممـــتُ بيتـــين إننـــي

شـقيٌ بـما ألقـاه منـك عـلى البـين

هجو آخر

هـــذا الـــدلال علامـــا؟   أكـــان حـــتماً لزامـــاً؟!

تغيـــب عنـــي فيمـــسي   يـومي مـن الـدهر عامـا

وإن ســـمحت بقربـــى   قـــصَّرت لى الأيامـــا

تزهـــى بهـــذا، فهـــلاَّ   خـــشيت فيـــه الملامـــا؟

الوساوس

أنـا سـاهرٌ والليـل دامـس   ويـل المحـب مـن الوسـاوس

ومـن الغـد الخـافي ومـا   مـن زحفـه المـأمون حـارس

ومـن الـذي بـالأمس كـا   ن، وريبُـه فى الـصدر هـامس

ومـن الـذي تُخفيـه تلـ   ـك الأعـين الـسود النـواعس

ترنـــو إليـــك وخلفهـــا في القلــب سرٌ عنـك خـانس

ودع الغيــاب ومـــن يجـــا لس في الغيـاب ومـن يـؤانس

ودع الحفـــول ومـــن يُـــرا قص فى الحفول ومـن يلامـس

يـــا لهفتـــا إن قيـــل لا ءِ بيـــنهم أو قيـــل عـــابس

هــــذا وذاك كلاهمـــــا راضٍ بـــه قلبـــي وبـــائس

***

لا تنـــــأ عنــــي إنَّ لى فى كــل نــأي ألــف هــاجس

هـى مــن شـياطين الظــلا م وأنت مثـل الـصبح شـامس

اشرقْ عليهـــا ينـــصرفْ منهـــا المـــسالم والمـــشاكس

لا ضــير عنــدي أن تعيـــ ـــس إذا انجلى ليل الوساوس

رجاء اللقاء

رجــائي بــأن ألقــاك بــدِّد وحــشتي

فكيـف إذا أمـسيت أنـت مؤانـسى

أراك فتنجـــاب الوســـاوس كلهـــا

وأنـت إذا مـا غبـت كـل وسـاوسي

شكوك العاشق

رأى ابنـــاً فى الكـــرى زهقـــا   فهـــــبَّ مروَّعــــاً قلقـــا
يـــضم وليـــده ثقـــة،   وينـــسى أنـــه وثقـــا
ويخفـــق قلبـــه فزعـــاً،   ويفـــزع كلـــما خفقـــا
إذا مـــا خـــاف ذو شـــغف   فـــذاك المـــارد انطلقـــا

***

كـــذاك الـــشك فى قلبـــي   إذا مـــا طـــاف أو طرقـــا
أكذّبـــه، ويحزننـــى   كـــأنّ نـــذيره صـــدقا
فـــديتك لا تعـــدِّي الحـــز   ن مـــن ذنبـــي ولا الفرقـــا
فـــمالي بالخيـــال يـــدٌ   إذا مـــا خـــال أو خلقـــا
يوســـوس لى فأســـمعه،   كـــذلك كـــل مـــن عـــشقا!

صفقة مغبونة

أراني في غرامـــــك لا أجـــــازَى
وان جـــازيتنى حبـــاً بحـــب
ألم يـــسع الزمـــانَ الرحـــبَ قلـــبٌ
وهبتكـــه، وقلبـــك غـــير رحـــب؟

فكيــــف وعنـــد قربــك لي شريـــك

ومـا لـك مـن شريـكٍ عنـد قـربي؟

جهلـــتُ الحـــب إن أعطيـــت قُلبـــا

يقـيم عـلى الوفـاءِ، بنـصف قلـب

بلدى

أمحـــل الـــدهر واطَّـــردْ لا خمـــيسٌ ولا أحـــــد

لا انتظـــــارٌ لموعـــــدٍ أو هيـــامٌ بمـــن وعـــد

كـــل أيامنـــا تـــسا ويـــن في الوســم والعــدد

صــــبحها مثـــل ليلهـــا والتقـــى أمـــسها بغـــد

تـــنقص العمـــر كلهـــا وبهـــا العمـــر لم يُـــزد[1]

لم تـــزد ماضـــياً وقـــد نقـــصت مقبـــل الأمـــد

***

قـــد رجعنـــا كـــما بـــدأ نـــا فـــما الخـــوف والكمـــد؟

كـــان لى الحـــزن موطنـــاً فتباعـــــدت، فابتعـــــد

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد في ثروة الماضى، أما يـوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر.

ثـــم عـــدنا فهـــل تـــرى　　　واجـــداً خـــاف مـــا وجـــد

بلـــدى أنـــت بي أبـــــ　　　ـــرُّ، فـــلا بنـــتَ ولا بلـــد

ميناء قلب

نـــم قريـــر العـــين والـــنفس فـــما

لك في قلبي ســوى الحـب الطهـور

أنـــا إن لم أكـــرم الـــصاحب في

غيبـــةٍ، اني إذن جِـــدٌّ كفـــور

***

أنـــت مينـــائى إذا البحـــر طغـــى

واكفهـر الليـل، واستعـصى العبـور

هـــب بـــه بعـــض صـــخور اتُـــرى

انقــض الــسوار حــولي والجــسور

لا وحبـــي! بـــل قـــصاراي إذن

إننـــى أعـــرف هاتيـــك الـــصخور

فـــــإذا جاورتهـــــا جاوزتهـــــا

غــافراً مــا شــئت، والحــب غفــور

بـــــل أراني شــــــاكراً لا غـــــافراً

وشـــــبيهان غفـــــورٌ وشــــكور

***

ثـــم قريـــر العـــين والخـــاطر يـــا

أكـــرم الأحبـــاب فى الـــدنيا الغـــرور

لا تخـــــف في الغـــــد شراً مــــن أخ

وَدَّ لـــو ينجيـــك مـــن مـــاضي الـــشرور

في أمـــــانٍ أنـــــت منـــــى وأنـــــا

فى أمـــان منـــك، والـــدهر يـــدور

أنـــا أدرى بـــك مـــن نفـــسك يـــا

طـــاهر النيـــة في كـــل الأمـــور

إنـــما تخطـــىءُ مـــن حـــب إذا

أخطـــأ الإنـــسان مـــن غـــشٍ وزور

ويـــحَ قلبـــي أنـــا إن أحزنـــت مـــن

هـــو في الحـــب عـــلى الحـــزن صـــبور

كـــم قـــسا منـــى وكـــم جـــار الهـــوى

والهـــوى منـــك رحـــيم لا يجـــور

لـــــك مـــــن عطـــفٍ شـــفيع دائـــم

وشـــفيعى عنـــدك الوجـــد الـــشَّؤور

نـــم قريـــــر العـــين والخـــاطر لا

قـــرَّ ذو ضـــغن ولا نـــام غيـــور

خـــلِّ جهـــل النـــاس فى ظلماتـــه

واجـــلُ لي حبـــك نـــوراً فـــوق نـــور

فوق الحب

صـــــاحبي مـــــن سروره وسرورى

في صـــــفاء الزمـــــان يلتقيـــــان

وصــــديقي مـــــن اســــتجدَّ سرورا

مـــن سروري، وإن تنـــاءى مكـــاني

وحبيبـــــى مـــــن قلبـــه كـــيفما كـــا

ن، وقلبـــي فى الـــشجو يـــستويان

فالـــذي يرتـــضي العـــذابَ لأرضَى

كيف أدعـوه؟ مـا اسـمه في البيـان؟

ذاك فـوق الحبيـب إن كـان فـوق الحـ

ــب شيءٌ يُرجـى مـن الإنــسان

ذاك فيـــه مـــن صـــبغة الله سرٌ

جـلَّ عـن صـبغة الوجـود الفـانى

سريان روح

لا تـــسلني متعـــبٌ أنـــت فـــما

تتعـــب الأرواح في عُليـــا الـــسماء

بجنـــاحين مـــن الحـــب ومـــن

حـــسنك الخـــافق، ينقـــاد الفـــضاء

طـــرت لا أشـــكو المـــدى مـــن تعـــب

حـــين صـــاحبتك في ذاك المـــساء

لم أكـــن ألمـــس أرضـــاً إنـــما

كنـــت أسرى حـــين أمـــشي في ضـــياء

توكيد

أحــدِّث نفــسي بــالفراق وأخــشاه

كــما تقــذف الأم الوليــد لتلقــاه[1]

هــو الــشيء لا تــدرى بفــرط وجــوده

ولا حبــه إلا إذا غــاب مــرآه

جواز الحياة

قالت: جوازك؟ قلت هاك! حـب أنـال بـه رضـاك

فـدخلت في خـدر الحيـا ة وراء الفـاف الـشباك

أبـرزْ جـوازك تقتـسم دار الحيـاة عـلى اشـتراك

أو لا فأنـت ببابهـا أبـداً تحـوم بـلا فكـاك

الخرافة الصادقة

دعنـى أثـوب إلى العـراف أسـأله

فالحـب علمنـى صـدق الأسـاطير

(١) الأم إذا قذفت بابنها فى الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ثم شعرت به بين يـديها فكـان فى ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه.

جـــلا عجائـــب دنيـــا لا نظـــير لهـــا

في زعـــم مختلـــق أو وهـــم مـــسحور

فـــإن أبـــتْ مؤمنـــاً بالـــسحر لا عجـــبٌ

هذا هو الـسحر في حـسي وتفكـيري

علم الحب

إذا سـاءت الـدنيا ففـى الحـب مهـرب

وتحـسن دنيـا مـن أحـاط بـه الحـب

فبالحب تـدري الحـسن والقـبح عنـدها

وفي الحـب علـم لا تعلِّمـه الكتـب

الثوب الرشيد

فرحـــات قلبـــك بالجديـــد — مـــن فرحـــة الطفـــل الـــسعيد

أخجِلـــتَ بـــالثوب الرشيـــ — ـــق وأنـــت صـــاحبه الفريـــد؟

هـــو لا يعـــاد فـــما لقـــدِّ — ك مـــن معيـــد في القـــدود

خـــلِّ الحيـــاء لمـــن يلـــو — مـــك وأحـــلُ أنـــت كـــما تريـــد

أولى بالاســـــتحياء مـــــن — عـــذل الجـــمال عـــلى المزيـــد

كـــل الثيـــاب لمـــن يـــز ... يـــن ثيابـــه عـــفٌ حميـــد

فـــافرح بحلتـــك الجميـــ ... ـــلة فالجميـــل هـــو الرشـــيد

لـــو ترتـــدي ثـــوب الوقـــا ... ر وهيبـــة العمـــر المديـــد

للبـــستها فرحـــاً بهـــا ... كالطفـــل في الـــزي الجديـــد

عمر شعر

شعري القديم عشقته وحفظتـه ... وحييـت فيـه حقيقـة وخيـالا

وجديد شعري إن نظمتُ فـإنما ... لك بت أنظمـه، وفيـك تـوالى

فكأَنَّ حبي كـان عنـدك كلـه ... رهنـاً بحـسنك مبـدأ ومـآلا

فاحرص على قلب أباحك ماضيـاً ... منـه وحـاضره والاسـتقبالا

الحياء في الحب

صـن مـن حيائـك مـا يـذكّرنا عـلى

طـــول التـــآلف أننـــا جـــسمان

واخلـــع حيـــاءك يـــوم ينـــسى أننـــا

قلـــبٌ تفـــرَّد مالـــه مـــن ثـــان

الحـــب أجمـــع حـــين تعلـــم سره

في ذلـــك التـــذكار والنـــسيان

قلـــبٌ يرفـــرف في جـــوار قرينـــه

لا القلـــب مبتعـــد، ولا هوفـــان

متفـــرقين ليعطيـــا، فـــإذا التقـــى

حظاهمـــا فـــسروره ضـــعفان

ويلـــذ بـــالثمر الجديـــد كلاهمـــا

كـالحور تحـت عـرائش الرضـوان

عتـاب

أيهـــا المـــانع الرســـائل عنـــى

هـل يكـون الوفـاء كُتبـاً بكتـب

هـــب ردودي ابطـأن عنـك فقـل لى

مـن أقـال البريـد مـن كـل ذنـب؟!

لا التحـــدى، ولا التـــشاغل، يُـــرَضى

مـــن حبيـــب معاتـــب، أو محـــب

ضـــامنٌ أنـــت إن تـــسلّفت عـــذري

حسن ظـن بـالود أو، حـسن عتـب

لقاء شجى

هــل عجــبٌ فى الحــب بــرح الأســى

بعــد ابتهــاجي بلقــاءِ الحبيــب؟

هاتيــك نفــسى اســتجمعت نفــسها

فابــسط لهــا عــذر اللبيــب الأريــب

لا تجمـــع الأنفـــس أجزاءهـــا

مــا بــين نــابٍ حولهــا أو مجيــب

إلا أطالـــت نظـــرات لهـــا

فــيما بــدا منهــا وفــيما يغيــب

يــا رحمـــةً للقلـــب مـــن نــشوة

يــشابه النــشوان فيهــا الكئيــب

مولــد

أو نشوء وارتقاء

زانـــــك الله بــــصفو وســــلام يـــا شـــتاء

طــــال بي فكـــر الليـــالى أو مـــا فيـــك عـــزاء؟

***

قال لي: هاك فخذها ... زهرة مني إليك

ذات حسن وحياء ... ولها فضل لديك

وُسمتْ بالفكر [1] فاقبس ... فكرة فى راحتيك

قلتُ حقاً يا شتاء ... هى حسن وحياء

غير أني، وهى صمت، ... ليس لي فيها عزاء

***

قال يرضيك إذن شا ... د من الطير مُجيد

هو للجنة [2] يُدعى ... وله منها نشيد

يعشق النيل وإن لم ... يك فيه بوليد

قلت حقاً يا شتاء ... هو حسن وغناء

غير أني، وهو صوتٌ ... ليس لى فيه عزاء

***

قال يرضيك إذن سا ... ر من البرق بشير

يصدع الظلماء، يزجى ... عارض الغيث، ينير

---

(١) المقصود - كما يظهر من هذا الوصف - زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسيه وهى كلمة ترادف بالفرنسية كلمة (الفكرة) وتظهر هذه الزهرة فى الشتاء.

(٢) عصفور الجنة.

فيــه مـــن قلبــك نــبض ومـــن اللمـــح ســمير
قلــت دعنــى يــا شــتاء مـــن شـــعاع في فـــضاء
أإذا جـــــاد بغيــــــث كـــان لي فيـــه عـــزاء

***

قــال: والــشمس؟ فــما ظنــ ـــك بالـــشمس ذكـــاء[1]
كــما عــدتُ بهــا سبًّـــ ـــح عـــشاق الـــسماء
قلــت حقــاً يــا شــتاء هـــى نـــور ورجـــاء
غـــير أني، وهـــى صـــبح، مـــا عزائـــي في المـــساء؟

***

قـــال لى انفـــدتُ كنـــزي كلـــــه بـــين يـــديك
غـير ذخـر مـن بنـى الإنـسـ ــــان أبقيـــه عليـــك
فيـه مـن صـبح ومـن ليـــ ـــل قـــصارى غايتيـــك
أتَـــراه؟ قلـــت حقـــاً هـــو فى الـــدنيا العـــزاء
هـــو حـــبٌ وحيـــاة وربيـــع يـــا شـــتاء

***

(١) فى أساطير الأقدمين إن الشمس تولد مرة فى أوائل الشتاء.

مــــن بنــــي الإنــــسان فى ذ اتِ شــــتاءٍ وُلــــدا
زينـــة للعـــين واللـــــ ــــب وللقلـــب بـــدا
طـــاهر كالمزنـــة البيـــضا ءِ صـــاف كالنـــدى
كبنـــات الـــروض مفتــــ ــنٌّ الحـــلى جـم الحيـــاء
وارفٌ كالظـــــل مُحــــيٍ في شـــذاه كـــالهواء

***

يـــا شـــتائي فـــيم اخفـــا ؤك ذاك الـــسرَّ عنـــي
أي روض؟ أي بـــــرق؟ أي شـــمس فيـــك أعنـــى؟
أنـــا مـــستغن بـــه عنــــ ــــها فـــماذا عنـــه يُغنـــى؟
قـــد تعلمـــتَ وأتقنــــ ــتَ أفـــانين الـــسخاء
منـــذ عـــشرين وخمـــس مـــن سـنى الـــدهر سـواء

***

تــمَّ عنـدى كــل مـا تعــ ــطي إذا تــم العطـــاء
وجميـــلٌ كـــل بـــدء ينتهـــي خـــير انتهـــاء
وجميـــل زهـــرك النـــا مــي عـــلى هـــذا الـــنماء
صـدق العلـم وقـال الحــ ــب حقـــاً يـــا شـــتاء
ســـنة الزهـــر نـــشوءُ في المعـــاني وارتقـــاء

إساءة مشكورة

إليــك منــى الــشكر حتــى عــلى

إســاءة اللقيــا غــداة الــسفر

أغــضبتنى منــك فــأنجيتني

مــن لوعــة الهجــر وطــول الــسهر

إذا التــوى الــصبر عــلى عاشــق

تَعــرَّضَ العتــب لــه فاصــطبر

مــا ذاكــر اللجــة ريــاً لــه

كــذاكر اللجــة فيهــا الخطــر

ولهفــة الظــامىءِ ترياقهــا

أن ينظــر الغــصة فــيها انتظــر

عروس الشعر

فى البعد

عــروس شــعرى أجيــدي — فى البعــد نظــم القــصيد

فــيم الــسكوت؟ أمــا مــن — وحــي؟ أمــا مــن نــشيد؟

أوحــيُ ثغــر لثغــر — أو لا صــدى مــن بعيــد؟!

أمـــا ســـمعت بـــبرقٍ مــــستحدث أو بريـــــد؟
وناقـــــل مـــــن أثـــير وســـــكة مـــن حديـــد
بُـــشرى إذن ألـــف بـــشرى بيــــوم قـــرب ســـعيد
إلى المزاهــــــر هُـــــزِّي أوتارهــــا مــــن جديــــد
ورنِّمـــــي واســــتعدى ورتـــــلّي واســــتعيدي

صنوف حب

عرفـــت مـــن الحـــب أشـــكاله
وصــاحبت بعــد الجــمال الجــمال
فحــــبّ المـــــصور تمثالــــــه
عرفـــتُ! وحـــب الـــشباب الخيـــال

***

وحــــب القداســــة لم أعـــدُه
وحـــب التـــصوّف لم يعـــدُني
وفي كـــــل حـــب وَرَى زنـــده
ســـماتٌ مـــن المـــؤمن الـــديِّن

***

وحـــب المزخـــرَف والمتَقـــى

وحـــب المجـــرَّد والعاطـــل

وحـــب الجـــماح، وحـــب التقـــى

وحـــب المجـــدد والناقـــل

***

وحـــب الثقـــاة وحـــب الـــصحا

ب، وحـــب الطبيعـــة في حـــسنها

وحـــب الرجـــاءِ وحـــب العـــذا

ب، عـلى يـأس نفـسى مـن حزنهـا

***

وحـــب التـــي علمتنـــي الهـــوى

وحـــب التـــي أنـــا علمتهـــا

ومـــن أســـتمد لـــديها القُـــوى

ومـــن بـــالقوَى أنـــا أمـــددتها

***

وحــــب الجيـــاع صـــحاف الطعـــا

م، وحـب الظـماءِ كـؤوس الـشراب

وحــــب الكفـــاح وحــــب الـــسلا

م، وحب الـضلال وحـب الـصواب

***

صــــنوفٌ مـــن الحـــب لا تلتقــــي

وفيــك التقـــى لبُّهـــا المحتـــوى

فلــــولا هـــدى نورهـــا الأســـبق

لمـــا كنـــتُ كفـــؤاً لهـــذا الهـــوى



صفات وتأملات



ليالي رأس البر

منــاظر مــن ســحر الجـمال أراهــا

ولــولا ســناها قلــت كنــت أراهــا

تلـــوح كـــذكرى حـــالم يـــستعيدها

لعمــق معانيهـــا، وبعـــد مـــداها

فمــن عـــالم النـــسيان فيهـــا مـــشابهٌ

وفيهـا مـن الـسلوى جميـل رضـاها

ليـــال بـــرأس الـــبر تَنْـدَى وداعـــةً

ورقـــة أشـــجان، وطـــاب نـــداها

وداعـــةَ ذات الـــدَّل شـــاب فؤادَهـــا

شوائب مـن هجـر، فـراض صـباها

***

ليـــال بـــرأس الـــبر طـــاب نـــداها

وشـــفت دياجيهـــا ورقَّ ســـناها

هنـا النيـل سـاجٍ طـال في الـدهر سـيره

وطالـــت مرامـــي نبعـــه فـــسلاها

هنا البحور ثـوار الـدهور عـلى الكـرى

ويطغى فـلا يحمـى النفـوس كراهـا

إذا استرســلت أصــداؤه في اطِّرادهــا

ترســلت الأحــلام مــلءَ مناهــا

هنـا عـالم الـسلوى، هنـا العـالم الـذي

تحــس الليــالى فيــه همــسَ خطاهــا

هنــا العــالمُ المــشهود ذكــرى قديمــةٌ

وذكــراك دنيــا لا تــزال تراهــا

فلــولا حيــاتي في عروقــى أحــسها

لقلــت نعــيم الغــابرين طواهــا

***

جمالــك - رأس الــبر - فى زي ناســك

إذا ضاحك العين الضحوك شـجاها

لياليــك - رأس الــبر - في صــومعاتها

مناســك ضــلّت في الظـلام هـداها

صـحابك - رأسَ الـبر - أطيـافُ نـائم

تـساوى لـديها صـبحها ودجاهـا

عناهـا الـذى يعنـي النيـام مـن الـرُّؤى

ولم أر جهـداً فى الحيـاة عناهـا

حياتـك - رأس الـبر - طفـلٌ مجـدد

سـقته ثـديٌّ الخالـدات جناهـا

فـلا تحرمينـا رشـفة الخلـد كلـها

فنينـا، وكـم تُفنـي الجـسومَ نُهاهـا

بحـسبيَ مـن أبنـاءِ آدم إن صـفا

لنـا العـيش يومـاً، إن تكـفَّ أذاهـا

شرفة مصر

فى رأس البر

ينتهـي الـبرّ ههنـا أو هنـا البـدء أوَّلا

نحـن في بـاب شرفـة أن تكـن مـصر منـزلا

نـترك الأرض خلفنـا ونـرى البحـر مقـبلا

كالـذى يهجـر الـديا ر إذا ارتـاض واختـلى

مــــصر مــــن خلفنــــا ولا مــــصر مــــن صــــوبنا ولا ..

حبــــذا (الــــرأس) شرفــــة ومــــــــصيفاً ومــــــــوئلا

فرجــــة الــــنفس كلــــها عافــــت الأرض والملــــلا

خبر الربيع

يأيهــــا الــــورق المخــــضرُّ في شــــجر

عهدي وما فيـه مـن ذي خـضرةٍ أثـر

من أين أقبلـت؟ بـل مـن أيـن أقبـل في

عيدانك العـوج ذاك العطـر والزَّهـر

إنــا ســألنا، ولــو عــاد الــسؤال إلى

فحـوى الـضمائر لم نعرفـه يـا شـجر

ســلنا بحقــك مــن أيــن استجدَّ لنــا

هذا السرور الـذي في القلـب ينتـشر

كلاهمــا طــارقٌ طــاف الربيــع بــه

عــلى بــراق مــن الأنــوار ينحــدر

ســلهُ فــإن لم يُجــب فــانعم بمقدمــه

وافــرح بــه، وانتظـره حـين يُنتظـر

إذا أجـــاب بأزهـــار مفتَّحـــة

وبالسرور، فحسبي ذلك الخبر

الوجود!

لا تنازع الوجود

ليس السر الأكبر هو تنازع الوجود بل السر الأكبر هو الوجود نفسه كيف كان وما الذي يبعث إلى التنازع فيه؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشيء يحتاج هو نفسه إلى التعليل. وأنت لا تعطينى الكنز إذا وصفت لى صراع الطامعين فيه، وكذلك لا تعرّفني سر الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لي تنازع البقاء:

(نـــزاع بقـــاء) فـــصلَّوه وعـــددوا

وراموا بـه سر الوجـود فابعـدوا

أيوجـــد مخلـــوق ليحمـــي نفـــسه

من الخلق؟ أم يبغي الحمى حين يوجد؟

هـو السر كـل السر أنـك كـائنٌ

وأنك تبغي الكون[1] والكون مجهد

(١) الكون مصدر كان وهو الوجود.

فـــلا تُحْـــص ألـــوان النـــزاع فـــإنما

هنا السر والكنز الذي عنـك يوصـد

أمعطـــيَّ كنـــزاً إن عرضـــتَ لنـــاظري

صراعـــاً عـــلى أعتابـــه يتجـــدد؟

تجربتي

تجربتـــي! أيـــن أنـــت تجربتـــي؟

يـــا كتبـــي. أيـــن أنـــت يـــا كتبـــي؟!

لم تمنعنـــــي دمعـــــة تؤججهـــــا

في القلـــب نـــار العـــذاب والغـــضب

إليـــــك عنـــــي! فلـــــست مانعـــــةً

حـــزني، وقـــد تمنعينني طـــربي

وقـــد تـــشوبين لي الـــصفاء ومـــا

تُـــصفين عيـــشي مـــن كـــدرة الرِّيـــب

لهفـــي عـــلى غـــرة أعـــيش بهـــا

غفـلان، والفاجعـات عـن كثـب [1]

لهفـــي عـــلى جُنّـــةٍ أهـــيم بهـــا

مقهقهـــاً بـــين فـــادح النـــوَب

قربان القرابين

مـــا في القـــرابين ولا الأعيـــاد

أبـــرٌّ في اللـــب وفي الفـــؤاد

مـــن يـــوم حـــبٍّ بالحيـــاة شـــاد

مـــدّخرٍ منتظـــر الميعـــاد

تبذلـــه للمـــوت والحـــداد

رعيـــاً لمـــن بـــاتوا عـــلى وســـاد

مـــن الثـــرى في غـــير مـــا رقـــاد

وقطعـــوا في القـــبر كـــل زاد



(١) عن قرب.

الفن الحي

أو الحياة الفنية

خـذ مـن الجـسم كـلَّ معنـى، وجسّم

مـن معـاني النفـوس مـا كـان بكـرا

حبــذا العــيش يبــدع الفكــر جــسما

نجتليــه، ويبــدع الجــسم فكــرا

ويـــرى الفـــن كالحيـــاة حيـــاةً

ويـــرى للحيـــاة فنّـــاً وشـــعرا

ضـلَّ مـن يفـصل الحيـاتين جهـلا

واهتـدى مـن حـوى الحيـاتين طـرا

عمر السعادة

إن السعادة هى الكفاية! والاكتفاء بدء التحول والاستغناء، فكأنها السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها... فـإن لم تُغرنـا بـذلك فهـي كالنور الذى ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفـى العيـوب، فتخلـق لنـا أسباباً كثيرة للنفور من الدنيا بعد إن كانت تلك الأسباب خافية علينـا،

إذ نحن نريد الدنيا أبداً رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل:

ثق بالرهان على عمر الزجاج ولا
تثق بعمرٍ سعيدٍ طال أو قصرا

لعل أسعد حيٍّ أنت مُصبحه
يموت قبل نزول الليل منتحرا

وفي السعادة ما يُغري بفرقتها،
إن الكفاية تكفي من رأى ودرى

وربما شوهت دنياك أجمعها
إذا رأيت بها عيباً، وإن صغرا

العراف

من عهود مجهولة وديار
هي أخفى من عمره مستقرا

حمل اللحية التي تنسج الد
هر، وتبديه للنواظر شَعرا

هــو غيــبٌ فكيــف لا يعلــم الغيـــ

ــب، ودهــر فكيــف يجهــل دهــرا

خلفـــه للزمـــان سر، فهـــل يطـــو

ى غـــدٌ مـــن أمـــام عينيـــه سرا؟

في خفايـــا المجهـــول عـــاش فـــسله

عـن خفايـا المجهـول ينبئْـك جهـرا

التقديس

عـــــارف التقـــــديس رو حـــيٌ، وإن قـــدس جـــسما

ومهـــين الجـــسم جـــسمـ ـــيٌّ، وإن كـــان (بَرْهمـــا)

أنـــت بالتقـــديس تـــسمو لا بـــما قدســـتَ تُـــسمى

وهـــى الأعـــين لا النـــو ر التـــي تجلـــو، وتعمـــى

يوم شتاء

يـوم بيـتٍ لا يـوم خـوض الـدياجي

فـــانجُ مـــا بـــين صـــفحة وسراج

وجمـــالٍ مـــن النفـــوس يُنـــاجي

في أســـارير وجهـــه وينـــاجي

مـــستهلّين والطبيعـــة غـــضبى

وكلانـا مـن هولهـا الـصعب نـاج

نتحـــدى الريـــاح والليـــل والأهـــو

ال طـــراً بـــصفحة مـــن زجـــاج!

فـــإذا مـــا يـــروع منهـــا ويـــضني

نتلقـــــاه ههنــــــا بابتهـــــاج

كالـــذي يـــشهد الكـــوارث فنـــاً

مـــن فنـــون التمثيـــل والإخـــراج

الســــرور

منـــع الـــسرورَ حِـــذارُ قلبـــيَ قبلـــه

أن لا يـــتم، وبعـــده التنغيـــصا

ويزيـــدني كلفـــاً بـــه وضـــنانةً

ألا يبـــاح - إذا أبـــيح - رخيـــصا

القديس

أن يجهل الناس ما القديس في خلق

فأنت وحدك قدِّيس السماوات

لا مانح الخير كلُّ الخلق تحمده

أو مانح الخير مجزياً بجنات

أو مانح الخير يرويه ويرسله

في حاضر من سواد الناس أو آت

منحت خيرك تأبي أن يذاع، وقد

تخشى عقوبته في يوم ميقات

منحتَه من سخاءٍ لا جزاءَ له

إلا مسرة وهَّاب المسرات

تلك القداسة حقاً لا قداسة من

يزدان بالعرف في سمت وإخبات [1]

تلك القداسة من نور وإن سُترت

كأنها الذنب في ليل الخطيئات

---

(١) الإخبات هو التخشع.

نسختان

خـذ مـن رجائـك نـسختين ولا تُـصن

أبـداً رجـاءك فى كتـاب[1] واحـد

فـإذا التـوت إحـداهما عـن قـصدها

لم تخطـئ الأخـرى سـبيل القاصـد

العزاء جمدٌ

غنيـتُ عـن العـزاء، وهـل عـزاءٌ

لمـن قبْـل رأى المـصابا

تـسلّفتُ الفجـائع في ارتقـاب

وحـسبي أن أهوِّنهـا ارتقابـا

لقـد هانـتْ خطـوبي حـين باتـت

حيـاتي كلهـا خطبـاً عُجابـا

فـإن شـئتم فعـزُّوا في حيـاتي

مجازفـةً، ولا تحـصوا الحـسابا

(١) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب أو (الخطاب).

مناجاة الدنيا

يقول الحي: إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هى الخاسرة، والحي لا يشعر بخسارة فقد الحياة.

وتقول الدنيا: إن حياً يجيء يغنيها عن حي يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا خسارة عليها.

ويقول صوت خالد لا صوت الأحياء ولا هو صوت الدنيا: إن الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفني أبداً أو يَفنى أبداً، وإنما كل كائن له دور فى الإفناءِ ودور فى الفناءِ:

إن تكن غايةُ سعي الحي موتٌ فيك يا دنيا فأنت الخاسرة
أو يكن بعد فناء الميْت عيشٌ فيك يا دنيا فأنت العامرة

نحن إن عدنا إليك الخاسرون

***

قالت الدنيا: بحيٍّ بعد حي أنا استبقى ينابيع الحياة
فامكثوا فيَّ نفوساً أو تراباً ما على الحالين عندى من شكاة

إن ذهبتم فكما كنت أكون

***

قال صوت ليس بالدنيا ولا هو بالناس ولا غيرهما

فيه منها ثم منهم أثرٌ ثم من شيءٍ سرى بينهما

كلُّنا نحن حياة ومنون

كلنا يَفنى ويُفني ويصون

كلنا مفترقون. كلنا متحدون!





متفرقــــات



إلى الأستاذ مكرم[1]

يا من أسى جرح مصر فى ضمائرها

جراحُ جسمك تأسو مصر شكواها

إذا شكا مكرمٌ فدّته أمته

كما رعاها وحياها وفدّاها

الله والنيل قد صانا وقد عرفا

من ليس يعرف إلا النيل والله

تهنئة

ولدى في البيان والأدب	تلك قربى من أكرم القُرب
كن أباً واستمع نداءك من	كل نجل بذلك اللقب
فإذا حقّك البنون بما	شئت من بهجة ومن لعب
وإذا ما بلغت فى عقب	فوقَ ما قد بلغت فى نسب
وإذا ما ارتقيت في رتب	أبداً ترتقي إلى رتب
كان لى الفخر أنْ دعوتك يا	ولدي، أو دعوتني بأبي
إنَّ في حافظ[2] لمفخرة	لذويه وصحبه النجب

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة مكرم عبيد حين إجراء العملية الجراحية فى المستشفى القبطى.

(٢) قيلت في تهنئة الأديب المهذب حافظ جلال بخطبته.

تقريظ

لــــك شـــعر يحكـــي سريـــرة نفـــس

رُكِّبـــتْ مـــن صراحـــة ونقـــاء

جُبلـــتْ كـــالفراش في أمـــة الطـــ

ـــير خفوقـاً بـين النـدى والـضياء

واســـتوت في الحيـــاة فـــوق جنـــاح

مـــستطار الخطـــى رقيـــق الغـــشاءِ

فتعهَّـــدْ حـــدائق الـــشعر والـــبس

حلـل الـروض، واطَّلـع فى الـسماءِ

وانْـــشد النـــور في جوائـــك واطلـــب

بعـدها الـشمس في رحيـب الفـضاءِ

أنـــت يـــا طـــاهر [1] الفـــؤاد جـــدير

مـــن محبيـــك بالرضـــا والثنـــاءِ

لـــك يـــومٌ مـــوفٍ بأجمـــل ســـعى

وغَـــدٌ مقبـــلٌ بخـــير رجـــاءِ

---

(١) هو الشاعر الأديب طاهر الجبلاوى، والأبيات نظمت فى تقريظ ديوانه (ملتقى العبرات).

أسود يلتحي

ألـــيس كفـــى هـــذا الـــسوادُ فزدتَـــه

ســـواد غـــراب في لحـــاك معلـــق؟

سريـــت بـــرأس لا حـــدود لوجهـــه

فـــما زال فيـــه الليـــل بالليـــل يلتقـــى

ألا فـــانتظر حتـــى تـــشيب فقـــد تـــرى

ســـوادك محفوفـــاً بـــأبيض مـــشرق

وأخلـــقُ أن يرتـــادك الـــشيب حالكـــاً

على حالك، لـو كـان يجـري بمنطـق

نبوءة أو[1] وسواس

يـا نبيَّـي العزيـز! أنـت نبـيٌّ غلبتـه وسـاوس الـشيطان!

غلبته الـشكوك لا عـن بيـان نـاطق الهـدى، ولا برهـان

موجساً من خيانة في ثنايا الغـ ـيب، والغيبُ صـارم الكـتمان

(١) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانـة سـتقع دون تعيـين المكـان وشـخص الخائن. والشاعر يقول فى هذه القصيدة أن هذه النبوة لا تعدو القول بأن الخيانـة موجـودة فى الناس، وهذا شيء نشترك فى علمه أجمعين.

دّلـه حدسـه عليهـا ومـا دلَّ عـلى موضـع لهـا أو زمـان

أو عـلى آثـم جناهـا وأخفـى سرهـا عـن رقيبـه اليقظـان

قـل لنـا الـسر كلـه يـا نبيـي أو فهـا نحـن فى الهـوى سـيان

أعرف النـاس خـائنين فهـلاً زدت شـيئاً عـليَّ في العرفـان

يا نبيي، فاشرح لنا أنت ما قد كان، لا ما يكـون في الإمكـان

البـيـلا[1]

البــيلا. البــيلا. البــيلا مـا أحـلى (سُـلب البـيلا)

***

هـاتوا البـيلا وأسـقوني هـاتوا البـيلا. داووني

الطـب (ودينـي) يوصـيني بـالبيلا، تحيـا البـيلا!

البــيلا. البــيلا. البــيلا مـا أحـلى البنـت البـيلا!

***

(١) البيلا أى البيرة... والقصيدة منظومة فى طفل صغير تعبت معدته فوصف لـه الطبيـب مقـداراً قليلاً جداً من الجعة يشربه بين حين وآخر. فألف الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة. وفى القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضي أمره. فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير.

مــا لى ومــا للــشكولاتا تمــــشى لي تاتـــا تاتـــــا

بطـــــلٌ مـــثلي هيهاتـــــا بـــالحلوى ينـــسى البـــيلا

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا أبــــداً لا أنــــسى البـــيلا

***

يـــوم رضـــاعي خـــدعوني بـــــــالبيلا لم يـــــــرووني

مـــن ثـــديي لا تـــسقوني أســـقوني، أســـقوني البـــيلا

البـــيلا البـــيلا البـــيلا هـــاتوا لي كـــأس البـــيلا

***

اخطـــف كـــأسي بـــالكفين خطـــف المفطـــوم الثـــديين

إن أغمـــض عينيـــه الثنتـــين فتحـــــت عينـــيَّ البـــــيلا

البـــيلا البـــيلا البـــيلا (نـــور العينـــين) البـــيلا

***

بـــالبيلا كنـــت حكـــيماً أرضى بـــــالمر علـــــيماً

طمعـــاً فى الـــصبر وفـــيا يحلـــو مـــن وعـــد البـــيلا

البـــيلا البـــيلا البـــيلا مـــا أحـــلى وعـــد البـــيلا

***

قــالوا الــسكران العربيــد! | عربيـــــدٌ أنــــا بالتأكيـــــد
ارقــص، وأُغنـــي، وأُجيــد | في ســـاعة (ســـلب البـــيلا)
البـــيلا البـــيلا البـــيلا | غنـــوا في نخـــب البـــيلا

***

لقبـــي في صـــحبي (هِمَّـــا) | ظلمـــوني في اســـمي ظلـــما
إن نـــادوا البـــيلا يومـــاً | اغلـــطْ في اســـمي والبـــيلا
يحيـــا (هِمَّـــا) والبـــيلا | البـــيلا البـــيلا البـــيلا






هجاء



هجاء الدهر

أباسمٌ تُغني؟ لُعِنتَ شرَّ لعن
وإن عداك المتنبي خذ الثناءَ مني
يا دهر وامضِ عني

***

كن عابساً قطوبا أو ضاحكاً طروبا
ما أشبه الموهوبا عندك والمسلوبا
إليك! دعني دعني

***

ما أقبح اللئيما مبتسماً كظيما
أدنى إليه سيما إن يُبتلى دميما
يعوي ولا يُغنِّي

***

أمانحي السرورا؟ خذه وبن مدحورا
لو لم أكن موتورا أشكو الأذى المقدورا
ما شاقني بحسن

***

أيـــن الجـــمال أينـــا؟ كـــلُّ الجـــمال منَّـــا

إن شـــئت لا إن شـــئنا فقـــرَّ أنـــت عينـــا

وخلّنا في أمن!

خنزير أعجف؟

فيـــه خنزيريـــة ظـــاهرة مـا نفاهـا عنـه ذاك العجـف

هـــو خنزيـــر ولكـــن شـــابه جـــسدٌ في وضـــعه منحـــرف

اللؤم خالد

يا عـصبة اللـؤم مهـلاً بعـضَ غـيرتكم

فـــاللؤم لا ينقـــضى إن لم تُجلـــوه

ســيخلد اللــؤم في الــدهر اللئــيم وإن

أذلـــه أهلـــه- لؤمـــاً- وملّـــوه




رثاء



نصيب الحي والميت

يـــا صـــديقي لنـــا البكـــاءْ ولـــك المـــوت والـــسلامْ
عنـــدنا النـــور والعنـــاء! عنـــدك النـــوم والظـــلام!
لـــيس يأســـى أخـــو فنـــاء بـــل أخٌ بعـــده إقـــام

***

أتبُـــع الـــصحب في القبـــور بيكـــائي، ومـــا اهتـــديتْ
أنـــا لـــو دام لي الـــشعور بعـــد مـــوتي لمـــا بكيـــتْ
عـــالمٌ كلـــه غـــرور عـــشتُ مـــا عـــشتُ أو قـــضيتْ

***

هالـــكُ كـــلُّ مـــا يكـــون تـــستوى الـــنفس والـــصفاةْ
فلمـــن تحـــصد المنـــون ولمـــن تـــزرع الحيـــاة؟
بـــدأت حكمـــة الجنـــون وانتهـــت حكمـــة الهـــداة

رفيق الصبا

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا
وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا

وآذن فيــك الــصبر إن لا يعينني
وآذن فيــك الحــزن إن يتغلبــا
أألقــاك عنــد النيــل إن عــدت فى قنــا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا؟
ونستنــشد الأَشــعار فى كــل ليلــة
ونطلــب في كــل الأحاديــث مطلبــا
ونحــسب إن الله لم يخلــق امــرءاً
عـلى الأرض إلا كـي يقـولَ ويخطبـا
ونحـصي عـلى الـدهر الـبريءِ ذنوبـه
ومــا كــان إلا مازحــاً حــين أذنبــا
أألقـاك؟ بـل هيهـات قـد حالـت المنـى
فــأقربُ منهــا أن أصــافحَ كوكبــا
إذا عــدت اسـتحيى الـشبابين فى قنــا
وجــدتك رســماً فى الـتراب مغيّبــاً
وسـاءلت عنـك الـصحبَ أيـن مـزارُه
وأذريــت دمعــاً عنــد قــبرك صــيًّبا

***

عجيبٌ لعمري موُت كل محبّب

إلينا، وقد كان التعجب أعجبا

حسين! عرفت الموت فيك غريبة

وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا

أمَنْ هو فى ذِكرى فتى العمر ينطوى

كما طوت الأسقام شيخاً مغذَّبا؟

نعم ينطوي الشبان والشيب فى الردى

ورب فتيٍّ فى الردى فات أشيبا

وسيان في عقبى الطريقين من مشى

على عصويه من عياءٍ، ومَن حبا

عهدتك في شرخ الصبى ناضر الصبى

وفاجأني الناعي فأجفلت مُكْذِبا

ألا ليته لم يعرف الصديق عمره

ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

***

رفـــاقَ حــــسين أبنَّـــوه وأطنبـــوا

فـما يخطـىء البـاكي سـجاياه مطنبـا

لقــد كــان ميمـــون النقيبـــة صــالحاً

وكــان أمــين الــسر والجهــر طيّبــا

وكــان عفيــف القــول لا يقــرب الأذى

ولا يـــذكر الأخـــوان إلا تحببـــا

وكـــان عـــلى كنـــز القناعـــة آمنـــاً

وإن قـــصّر المـــسعى بـــدنياه أو نبـــا

إذا اســـتمرأتْ مرعـــي الخيانـــة أنفـسٌ

تحـــرَّجَ منهـــا مُعرضـــاً وتحوّبـــا

وكــان عزيـــز الـــنفس فى غـــير جفـــوة

ولا صـــلف منـــه، إذا صـــد أو صـــبا

وكــان ســـميراً يملـــك الـــسمع كلـــما

تبـــسّط في أســـماره وتـــشعَّبا

أديبـــاً يـــصوغ الـــشعر والنثـــر فطـــرة

ويـــؤثر في الآداب مـــن كـــان معربـــا

أليفـــاً وفيـــاً لا يفـــارق صـــاحباً

ولا منـــــزلاً إلا انثنـــــى فتقرَّبـــا

احـــبَّ قنـا واسـتعذب العـيش في قنـا

فلـم يُغـره عـيش، وإن كـان أعـذبا

لـــئن ذكـــر الوافـــون عهـــد ولائـــه

لمـــا ذكـــروا إلا الـــوفيَّ المهـــذَّبا

***

رفـاق حـسينٍ أسـهبوا فيـه واذكـروا

رفيقـاً لـه يعتـاده الحـزن مـسهبا

عـلى كثـب منـه اجتمعـتم فليـت لى

مكانـاً مـن الجمـع القنـائيَّ مكثبـا

كـأَني وقـد فارقتـه قبـل يومـه

سـمعت لـه نعيـين يـوم تغيبـا

***

إذا مـا رثـى المحـزون ألـف شـبابه

رثى قلبهُ شـطرا مـن القلـب مخـصبا

وودع مــن عهديــه فى العمــر قِبلــةً

أخــفَّ عــلى الــرّواد زاداً وأرحبــا

إذا جازهـــا أودى بمختــــار عيـــشه

ولم يبــق إلا مـــا اتقـــى وتهيبـــا

***

أليف الصبى لا تشكُ فى المـوت وحـشة

فما زال ركـب المـوت أحفـل موكبـا

تعاقبـــت الأجيـــال تحـــت لوائـــه

وإن بعـــدوا داراً وعهـــداً ومأربـــا

ومـــا الـــزمن المحـــضور إلا بقيـــةٌ

مـن الـزمن المـاضى تلاقـت لتـذهبا

عليـــك ســـلام الله حتـــى يظلنـــا

ســلامٌ أظـل النـاس شرقـاً ومغربـا

تذييل

فى إسم الديوان

جاءني بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان فى الصفحة الأدبية بالجهاد استفهام من بعض الأدباء يسألنى فيه بلهجة لا تخلو من الاعتراض: هل يحرم إذن على الشاعر المصري أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لا محل له لأنني لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين، وإنما قلت: (من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب! وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع في هذه الأجواء).

فالذي يلام عليه الشاعر أن يدع طائراً مغرداً جميل التغريد لاشك فى وجوده وكثرته في الأجواء المصرية ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفاً على فصائل من الطير توجد عندنا فى بقاع محدودة أو لا توجد إلاً أيام الهجرة العارضة.

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبنى سويف ويتفرق على قلة فى أنحاء الصعيد، وقلما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية.

أما الطائر الـذى يقـرأون عنـه في الآداب الأوروبيـة أو الفارسـية ويحسبونه (البلبل) فليس هو البلبل المصرى (أولاً) ولكنه إما أن يكـون العندليب أو الهزار أو فصيلة أخرى، وهذه الفصائل- بعدُ- مهـاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجـرة المـصرية. فمـن التقليـد المعيـب أن تخـص العنـادل والبلابـل بالوصـف والإعجـاب ونهمـل الكروان وهو مقيم فى جميع أجوائنا ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودهـا غيرها، ولا يُفهم من ذلك إلاَّ أن الناظم يطرب عـلى المحاكـاة ولا يفقـه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار.



كلمة شكر

لا أختم (هدية الكروان) قبل أن أشكر للمصور البارع الأستاذ رمسيس أفندى يونان تلك الصورة الغلافية التى تجلى فيها ذوقه السليم واقتداره الفنى فى الرسم والتخيُّل. وقد ارتضيت رسم الكروان بمنقاره الدقيق الطويل على أنه تصرف تسوغه الزخرفة كما تسوغ تدقيق الحروف الكتابية وتطويلها. أما الكروان الذى يقيم فى مصر فله منقار يخالف هذا المنقار.

كذلك أشكر للأستاذ رفقى مصور الهلال رسمه الطبيعى الذى يراه القارئ على الصفحة الأولى من الديوان، ولا يفوتنى شكر رؤساء المطبعة وعمالها على إتقانهم المعهود.



فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٤٢
الكروانيات	٤٧
غزل ومناجاة	٧٧
صفات وتأملات	١٥٠
متفرقات	١٦٧
هجاء	١٧٥
رثاء	١٧٩
تذييل	١٨٦
كلمة شكر	١٨٨